600/2012/1/1

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

معهد: الآداب واللغات

ميدان: الفنون والآداب

1352

عنوان المذكرة:

# المظاهر الاجتماعية و الانسانية في الشعر الجاهلي- من خلال شعر الصعاليك-
# "الشّنفرى" أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطلبة:
- آمنة سكحال
- نجاة هادف

إشراف الأستاذ:
عمار قرايري

السنة الجامعية: 2011 - 2012

# إهداء

أشكر الله تعالى الذي وفقني في هذا العمل أعطاني القوة و الصبر و الإرادة

أهدي ثمرة عملي إلى:

إلى من كان سببا في وجودي و كانا سندا و عونا في حياتي أبي و أمي.

أتقدم بأخلص عبارات الشكر و التقدير إلى الوالدين هادف الدوادي و الأم فغرور نصيرة.

و أطيب التحيات إلى أخي هشام متمنية له المزيد من النجاح في مشواره الجامعي.

إلى أخي عماد طالبة من الله تعالى أن يفقه لنيل شهادة البكالوريا.

و إلى الجدتين حفيظة و نوارة أطال الله في عمرهما.

إلى أبناء عمي جمال، ندى، فيصل، شرين، و بنات عماتي:

صليحة و حياة . و أبناء خالتي عدلان و نسرين.

و أعمامي و كل عائلة هادف كبيرا وصغيرا.

إلى من تحمّلت معي أعباء بحثي صديقتي آمنة .

و في الأخير إهداء وشكر إلى كل من يعرفني و كان عونا لي.

نجاة

# شكر و عرفان

نرفع آيات التقدير و جميل العرفان إلى أستاذنا المشرف

" عمار قرايري" الذي كان خير دليل و مُعين لنا في بحثنا

مع الأوضاع الاجتماعية و الانسانية في العصر الجاهلي

من خلال شعر الصعاليك، كما نتقدم بالشكر إلى عاملي

قاعة الأنترنيت للمركز الجامعي بميلة .

و وفقنا الله و إياكم مع كامل الاحترام و التقدير.

# دعاء

اللهم صلّ على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون و ما غفل عن ذكره الغافلون

-اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا باليأس إذا أخفقنا، و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

-اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا و ذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، و قلب لا يخشع، و نفس لا تشبع ومن دعاء لا يستجاب.

اللهم آمين

بسم الله الرّحمن الرحيم

**مقدمة:**

لقد اختلفت و تنوعت المواضيع التي عالجت قضايا تاريخ الأدب العربي و كثرت البحوث و الدراسات التي تعمقت في هذا المجال فألفت فيها القراطيس من: كتب و دواوين و مجالات ومقالات.... و تعرض لها الكثير من الباحثين من كل أقطار العالم سواء من أدباء العرب و المستشرقين، فقد عظمت الأحاديث و الأقاويل و الشكوك حول تلك العصور و بكل ما فيها سواء من الجوانب الاجتماعية أو الفنية أو الأخلاقية و الانسانية و خاصة في العصر الجاهلي الذي يعد من أبرز العصور التي تنوع فيها إنتاج الأغراض الفنية و الإبداعات التي فاقت التصور، و ذلك لما كان يمتاز به من مظاهر اجتماعية و إنسانية منها الذميمة كالظلم و الإعتداء و القوي يأكل منهم الضعيف و مظاهر حميدة كالجود و إكرام الضيف و الوفاء بالوعد.....إلخ.

و لكن الشيء الملفت للإنتباه في هذا العصر هو ذلك التميز في محاولة الإنعزال عن الوسط الاجتماعي من قبل فئة معينة و التي يبدوا أنها لم ترض بذلك الأمر الواقع، و لم تستطع أن تتقبل تلك الحياة المهينة و المشينة، فشقت طريقها بالقوة نحو حياة كريمة يفرضون فيها أنفسهم على مجتمعهم و هذه الفئة أطلق عليها اسم الصعاليك.

و بهذا فقد كان موضوع بحثنا "الأوضاع الاجتماعية و الإنسانية من خلال شعر الصعاليك" الشنفرى أنموذجا.

و قد قمنا باختيار هذا الموضوع رغبة منا في دراسة أوضاع المجتمع الجاهلي و أخلاقه عامة و طائفة الصعاليك خاصة من خلال اختيارنا للشنفرى أنموذجا و محاولة الكشف عن خفايا شعره الغني بالقيم الأخلاقية و الإنسانية و تجسيده للأوضاع الإجتماعية السائدة في عصره و بهذا نقوم بطرح مجموعة من التساؤلات حول هذا الموضوع، فما هي أهم المظاهر الاجتماعية التي ميّزت العصر الجاهلي؟ و كيف كانت أخلاقه؟ و ما هو مفهوم الصعلكة؟ من هو الشنفرى؟ ما هي خصائص شعره و ما أغراضه؟ ما أهم المظاهر الاجتماعية و الانسانية الموجودة في شعره؟

و على هذا الأساس كانت خطة بحثنا تتكون من فصلين تتقدمها مقدمة، فالفصل الأول كان تحت عنوان الحياة الاجتماعية و الأخلاقية في العصر الجاهلي و هو فصل نظري بدأناه بنمهيد ثم مبحثين، المبحث الأول و الذي كان عنوانه مميزات المظهر الإجتماعي تطرقنا فيه إلى ذكر بعض المظاهر الإجتماعية التي ميّزت المجتمع الجاهلي أما المبحث الثاني: و كان عنوانه: أخلاق المجتمع الجاهلي و تحدثنا فيه عن الأخلاق التي سادت المجتمع الجاهلي الحسنة و الذميمة.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه: تجليات المظهر الاجتماعي و الانساني في شعر الشنفرى و تطرقنا فيه إلى مفهوم الصعلكة أما المبحث الأول كان عنوانه نبذة عن حياة الشنفرى و تحدثنا فيه عن اسمه و نسبه و نشأته، و عن مقتله و

رثاء تأبط شرا له، و عن أسباب تمرده، ثم تحدثنا عن مميزات و أغراض شعره، أما المبحث الثاني قمنا فيه باستخراج أهم الملامح الاجتماعية و الإنسانية المتجلية في شعر الشنفرى.

أما المنهج المتبع فهو المنهج الاستقرائي التحليلي حيث قمنا بقراءة أبيات الشنفرى و تحليلها و استخرجنا أهم المظاهر الانسانية و الاجتماعية الموجودة في شعره، ثم خاتمة الموضوع و فيها أجبنا عن التساؤلات التي طرحناها في المقدمة، إضافة إلى قائمة المصادر و المراجع ذات الصلة الوثيقة بموضوعنا، أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهتنا منها قلة المصادر و المراجع و صعوبة الحصول عليها إن وجدت، كذلك ندرة النماذج التي تناولت هذا الموضوع لذا هؤلاء الشعراء التي يمكننا أخذها كسند نرتكز عليه في دراستنا، خاصة الجانب التطبيقي، بالرغم من كل هذه الصعوبات حاولنا التغلب عليها و قمنا بإنجاز هذا البحث الذي نرجو أن يكون مفيدا لنا و لغيرنا و في الأخير نقدم شكرنا للأستاذ و الله ولي التوفيق

## تمهيد:

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها و هم الذين يربط بينهم الدم والنسب، و هم عمادها و قوامها، و العبير و هم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة و خاصة الحبشة و الموالي، و هم عُشقاؤها، ويدخل فيهم الخلعاء، الذين خلعتهم قبائلهم و نفتهم عنها لكثرة جرائمهم و جناياتهم، وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم و مجامعهم، و قد يستجير بقبيلة أخرى فتجيره، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها، مثله مثل أبنائها.

و من هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك المشهورة، و كانوا يمضون على وجوههم في الصحراء فيتخذون النهب و قطع الطريق سيرتهم و دأبهم، على نحو ما نعرف عن تأبط شرا و السليك بن السلكة و الشنفرى، وهذا الخلع كان يحدث في حالات شاذة، أمّا بعد ذلك فإن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشد ما يكون التضامن و أوثقه، و هو تضامن أحكم عُراه حرصهم على الحلم والكرم و الوفاء و حماية الجار و سعة الصدر و الإعراض عن شتم اللئيم...إلخ.

كما كانت هناك مظاهر أخرى ميزت العصر الجاهلي و أعطته ميزة تختلف عن العصور الأخرى، و بهذا نتطرق إلى بعض مميزات المظهر الاجتماعي في هذا العصر و التي تتمثل في:[1]

[1]- العصر الجاهلي" د.شوقي ضيف" ط22 . دار المعارف كورنيش النيل 1119 القاهرة.

## المبحث الأول:مميزات المظهر الاجتماعي.

### 1 إيمان القبيلة بوحدتها:

عرفت القبيلة هذا الإيمان بالوحدة أمرا مقدسا، وترتبت عليه طائفة من التقاليد الاجتماعية كانت بمثابة "دستور"، و يحدد ما على أفرادها من واجبات وما لهم منحقوق.

و الأساس الذي تقوم عليه نصوص هذا الدستور "العصبية" و المقصود بها "النعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة" أو هي إحساس الفرد برابطته القبلية، و واجب تأييد مصالحها و العمل لها بكل ما يملك من قوة.[1]

و ينص هذا الدستور فيما يتصل "بالسياسة الداخلية للقبيلة" على أن أفراد القبيلة جميعا متضامنون فيما يجنيه أحدهم، أو كما يقول المثل العربي القديم " في الجزيرة تشترك العشيرة" و على أن هذا العقد الاجتماعي بين الفرد و قبيلته قائم على أساس عاطفي بحث، ولا مجال للتفكير فيه، و إنما هي النجدة التي تجيب دون أن تسأل، وهي نجدة عملية سريعة لا تحتمل انتظار، إجابتها تنفيذها، و تنص مواد هذا الدستور على أن نجدة أبناء القبيلة لأخيهم واجبة سواء كان جارما أومجروما عليه، فمبدؤهم الذي يسيرون عليه "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما" فجناية كل فرد منهم جناية المجموع، يعصبونها براس سيد العشيرة، ولهم عليه أن يتحمل تبعاتها، و له عليهم أن يطيعوه فيما يأمرهم بهم.

و في مقابل هذا الحق الذي كان للفرد على القبيلة، كان عليه واجب لها أن يحترم رأيها الجماعي، فلا يخرج عليه، ولا يتصرف تصرفا بدون رضاها، و لا يكون سببا في تمزيق وحدتها، أو الإساءة إلى سمعتها بين القبائل أو تحميلها ما لا تطيق و من هنا فرضت وحدة القبيلة، وتحمل المجموع لتبعات الفرد، على سادتها أن يمارسوا نوعا من الإدارة البوليسية فإذا

1- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص 91-92-93.

ارتكب فرد جرما رفضت القبيلة أن تتحمل نتائجه و إذا أخطأ في حق قبيلته نفسها، فإنه يطرد منها، ويسمى هذا الطرد خلعا و يسمى الطريد "خليعا" .

و يحدث الخلع لأسباب متعددة تدور كلها حول هذا الأساس، فقد يحدث أن يقتل أحد أفراد القبيلة فردا منها، وهنا تجد القبيلة نفسها في موقف حرج، فالقاتل والمقتول كلاهما من أبنائها، ولكل منهما حق الحماية والنصرة، وهنا يضطر سادة القبيلة إلى أن يقوما بدور الوسيط بين الفريقين، حتى لا يؤدي الأمر إلى انقسام القبيلة على نفسها، فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة، ويسالونهم العفو و قبول الدية، فإن كان أولياؤه ذوي قوى ابوا ذلك و إلا قالوا أن نأخذ سهما فترمى به نحو السماء، فإن رجع إلينا مضرجا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية، و إن رجع كما صعد فقد امرنا بأخذها، و نتيجة هذا الإجراء التمثيلي معروفة طبعا، فما رجع ذلك السهم قط إلا نقيسا، وهننا يمسح القوم لحاهم علامة للصلح و يصالحون على الدية، وهكذا تحل المشكلة هذا الحل السلمي الذي يحفظ على القبيلة وحدتها، ولكن المشكلة تظل قائمة إذا رفض أولياء الدم الدية و أصروا على الثأر، وهنا تحل المشكلة أحد الوجهين، إما أن يقتل القاتل بأيدي قومه، و إما أن تخلعه القبيلة حتى تترك لأولياء الدم حرية التصرف بدون أن تتعرض وحدتها للتداعي، أو يخلع هو نفسه، فيفر من قبيلته نجاة بحياته، وعلى كلا الوجهين تكون القبيلة قد تصرفت في حدود "دستوره" الذي ينص على أنه يجب على أهل القاتل ألا يحموه إذا قتل أحدا من دمه وذلك لأن رابطة القبيلة أقوى من رابطة الاسرة و قد يحدث أن تتعدد جرائم احد أفراد القبيلة حتى تجد نفسها عاجزة عن نصرته، لأن في هذا تكليف لها لا تطيقه، وعبئا ثقيلا عليها تنوء به، وتهديدا دائما لسلامتها و إراقة لدماء أبنائها بدون مبرر، فتضطر إلى التخلص من هذا الفرد مفضلة أن تضحي بفرد واحد على أن تضحي بجماعة من أفرادها ملقية عليه تبعات جرائمه، يتحملها هو وحده، فتخلعه[1]

[1]- المرجع نفسه ص 93-94

و قد يسوء سلوك أحد أفراد القبيلة من الناحية الخلقية، حتى يصبح وجوده بينها و وصمة على جبينها، و سبة في مجدها و شرفها، و حَطاً من قدرها أمام القبائل فترى أنها أمام عضو فاسد لا يرجى إصلاحه، ضرره أكثر من نفعه فتتبرأ من نسبته إليها، حرصا على سمعتها، وإبقاء على كرامة المجموع من أن يسيئ إليها فرد فتخلعه هذه من أهم الجرائم التي كانت القبيلة تحكم على من يرتكبها كم افرادها بالخلع.

و ظهور العصبية في المجتمع الجاهلي يلي حاجة كامنة في نفس العربي، وروي ضمأه إلى التعلق بمثل أعلى يعيش من أجله ويعكس توقه إلى عقيدة يؤمن بها.

و قد مرينا أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية، لأن الرياسة في حياة القبيلة لأن قوتها في بطن من القبيلة يجعل القبيلة يجعل تسلم أمر قيادتها غلى تلك العصبية، و بالتالي فإن نظام القبيلة السياسي يبقى مستقرا، و يبقى الحكم في يد تلك العصبية إلى أن توجد عصبية أقوى منها وعندها توجد أكثر من عصبية قوية في القبيلة الواحدة تنقسم القبيلة إلى أقسام صغيرة تستقل كل بإدارة شؤونها، وقد يؤديتضارب مصالحها و اشتباكها إلى اختلافها و تحاربها كما في حروب البطون الواحدة المنتمية إلى قبيلة واحدة، و كما حدث عندما كان الربيع بن زياد العيسى و عشيرته منشقين على قيس بن زهير و بقية عيسى.

و للعصبية القبلية قيمات، فهي تشعر كل فرد في القبيلة أنه مسؤول عن الجماعة، كما تشعر القبيلة أنها مسؤولة عن كل من ينتمي إليها، وهذه التبعات بمثابة عهد غير مكتوب يفرض على أبناء القبيلة التناصر و التآزر و السعي في سبيل منفعة القبيلة في جميع الأحوال، ويفرض عليهم تبني شعار: الفرد في سبيل القبيلة و القبيلة في سبيل الفرد.

و يدعو الفرد على نصرة أخيه ظالما كان أم مظلوما، يقول شاعر الحماسة:

**لا يسالون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا**

و ربما تسامح الفرد في شأن من شؤونه و أما العصبية فلا تفريط في اي واجب من واجباتها

**و ما أنا إلا عن غزية إن غوت * غويت و إن ترشد غزية أرشد**[1]

[1] الشعر الجاهلي – عفيف عبد الحمان- ص 45.

و العقود التي توقع على المتمرد عليها، و المتنصل من تبعاتها هي الخلع و المخلعون غالبا يتخلون عن عصبيتهم و يتحللون من شخصيتهم القبلية و مع ذلك فبعض الصعاليك لم يستطيعوا ذلك تماما، فالسليك بن السلكة يابى التعرض لقومه مضر فلا يغير إلا على قبائل اليمن و ربيعة.

وقد ترك هذا النظام القبلي أثره في ادب العرب إذ دفع الشعراء إلى تسعير الخصومة بين القبائل، وخضب القصص والامثال بتمجيد البطولة، و جهر كل ذي لسن و بيان بالدعوة إلى الاخذ بالثأر، حتى ضجّ أدب الجاهليين بقعقعة السيوف وتفجرت فيه صيحات المفاخرة و المنافرة، فزخر بفيض من المعاني و الصور الحماسية و ضم بين جنبيه تاريخا غير رسمي يقتبس منه الأحفاد نخوة الاجداد، و يتعهد الشعراء بالتجديد كلما رثّ، و بالإضرام كلما خبا، إذ ينفخون فيه روح الحميّة، و يؤثرون الغضب الأرعن على الحكمة الرّزان، فتعجز القلة المتعلقة كزهير بن أبي سلمى عن مغالبة الكثرة التي طغت عليها الجاهلية الجهلاء، كعمرو بن كلثوم قريظ بن أنيف، ودريد بن الضمة.

و لم يكن هذا النظام القبلي على شيوعه الشكل السياسي الوحيد في جزيرة العرب، فقد شهدت بلاد العرب إمارات صغيرة كإمارة طندة التي حُجز والد امرء القيس آخر أمرائها، وإمارات كبيرة كإمارتي الغساسنة والمناذرة على تخوم الروم و الفرس، و في هاتين الإمارتين لقي شعراء القبائل منتجعا يقصدونه، و سوقا تروج فيها بضاعتهم و مستبقا يتنافس فيه الفحول من شعراء الصحراء كالنابغة الذبياني و حسان بن ثابت و الأعشى، والمنخل الشيكري، و علقمة الفحل، والمرقش الأكبر، فلا يكاد الفحل منهم يجري فيه غلوة او غلوتين حتى يخلع لامّة الحرب ويسلين خِلَع الأمراء.

لقد ساعد نظام الإمارة أدب الصحراء على أن يبتعد بعض الإبتعاد عن الأفق القبلي البدوي المغلق، و هيأ للشعراء أسباب التحليق في أفق قومي واسع، و أتاح لهم أن يكونوا على اختلاف أنسابهم سفراء أقوامهم لذى المناذرة والغساسنة[1]، و شفعائهم عند الأمراء فارتقى بذلك فن المديح، و مازجه الاعتذار، و جدّت فيه معان و وصور أوحى بها العيش في القصور، و منادمة الأمراء و أدب الشراب، و الإصغاء إلى الغناء و التقلب بين الرّياش و الطنافس، و استلان الشعراء أكسية الحرير، فلانت لنفوسهم ورقّت ألفاظهم، و برئت من الحوشي المشكره.

## 2 ظاهرة الصعلكة:

[1] الأدب الجاهلي. قضاياه –أغراضه– أعلامه– فنونه. للدكتور غازي ظليمات الأستاذ عرفان الأشقر– الطبعة الأولى– 1992 م. التوزيع دمشق، مكتبة الإيمان دار الإرشاد بحمص.ص 32-33.

تعد ظاهرة الصعلكة من المظاهر الاجتماعية التي تميز بها المجتمع الجاهلي، فلا يمكن أن نعزلها عن طبيعة الارض و بنية المجتمع و تفاوت الطبقات، أما طبيعة الأرض فأثرها واضح، لأن جزيرة العرب هيأت البيئة الصالحة لانبثاق هذه الظاهرة، فجزيرة العرب شديدة الحرارة قليلة الأمطار، فيها بقاع خصبة و أودية روية، و واحات ذات نخيلن لكنها جزائر مبعثرة في بحار من رمل، وهذا التناقض بين القفار الواسعة و المراتع الضيقة دفع الصعاليك من القفار إلى مواطن الخصب يغيرون وينهبون من مراتع اليمن و نجد، و واحات يثرب و ما حولها فعروة كان يغير على يثرب و الشنفرى جعل مغاره أدنى اليمن إلى الحجاز و السليك بن السلكة كان مغزاه أقصى اليمن و أما بنية المجتمع فقد أعانت على استشراء هذه الظاهرة، و قدمت للصعلكة المنبوذ و الموتور و الخليع و الطريد، لأن من تلفظه العصبية القبلية لا يجد أمامه غير طريقين: الاحتماء بالولاء أو اللجوء إلى الصحراء و في الولاء ما فيه من إذلال لهذا كان الأعرابي الأبي يؤثر الصعلكة على تفيء ظلال الأثرياء الأقوياء و ربما لحق العبد المتمرد على العبودية بالحر الطريد فكانت الصعلكة جامعا يجمعها على كره السادة.

و انقسام المجتمع إلى أثرياء و فقراء حرّض المحرومين على التمرد و أغراهم عي اموال الأغنياء و لو استطاع المجتمع القبلي أن يزيل ما بين هاتين الطبقتين من تناقض لضعفت الصعلكة و لكن تفاقم التضاد و اتساع الشقة بين الضدين دفع طائفة الصعاليك المحرومة إلى الاغتصاب و جعلها تؤمن بأن "الإغتصاب حق لا تبغي من ورائه سوى أن تعيش"[1] كما أن بنية القبيلة في العصر الجاهلي بنية طبقية تقع في قتمتها طبقة الصرحاء و تقع في قاعها طبقة العبيد [2] ويمثل الموالي طبقة متوسطة بين الطبقتين من حيث الأهمية و القيمة و تمثل ظاهرة الصعلكة تمردا على البناء القبلي لأن مشكلة الصعاليك لم تكن مشكلة قبائلهم و إنما كانت مشكلة النظام نفسه، و هذا ما أوجد بين الصعاليك معنا مشتركا، يعبر بالتضامن الفعلي أو المفترض مع شعور بأنهم مجتمع مصغر يختلف عن المجتمع القائم، و من ثم فقد تميزوا بفقد الإحساس بالعصبية القبلية التي كانت قوام المجتمع الجاهلي و بتطورها في نفوسهم إلى عصبية مذهبية[1].

[1]- الأدب الجاهلي. قضاياه –أغراضه– أعلامه– فنونه. للدكتور غازي ظليمات الأستاذ عرفان الأشقر– الطبعة الأولى– 1992 م.ص 223.

2– البنية السردية في شعر الصعاليك– ضياء غني لفتة– دار الحامد للنشر و التوزيع –ط1– 2010 م. ص 17.

إن ظاهرة الصعلكة باعتبارها ظاهرة اجتماعية متمردة في المجتمع تولد في إحدى جوانبها من عدم إمكان تعايش الفرد في إطار القبائل العربية بأنظمتها و قوانينها، و لذا تميز شعر الصعاليك بالتعبير عن الآثار و تتجلى ملامحها واضحة إزاء النحن متمثلة في القبيلة شعورا بالعتلاء و التفاخر بالخصائص الفردية، إد يصبح ضمير الفرد أنا أذاة للتعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة نحن الذي هو أداة التعبير في الشعرالقبلي.[2]

و ما دامت حياة الصعاليك قد اتخذت شعارها" الغزو و الإغارة و السلب والنهب" أن يكون أكبر ما يعني به شعراؤهم أحاديث مغامراتهم، لأن هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم و الأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم، و هم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بقيمتها في حياته، المعجب بها الفخور ببطولته فيها أو بمقدرته على النجاة من أخطارها و قد ضاقت في وجهه سبل النجاة.

كما تحدثوا عن التربص و الترصد و كذلك عن التوعد و التهديد، حتى يجمعوا بين ركني الجريمة القانونيتين: التربص و الإصرار.

و بهذا أثرت ظاهرة الصعلكة في اختلال نظام القبيلة من حيث استقرارها و أمنها و ذلك من خلال ما كان يتحلى به الصعاليك من صفات تقوم على السلب والنهب[3]

### 3 قانون الجوار:

1 - البنية السردية في شعر الصعاليك- ضياء غني لفتة- دار الحامد للنشر و التوزيع –ط1- 2010 م. ص 17.

2- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص 182.

3 - المرجع نفسه ص 191.

لقد قدس المجتمع الجاهلي هذا القانون تقديسا كبيرا وكان مما يفخر به العربي أن يكون ملاذا لكل خائف و ملجأ لكل طريد، لأن في ذلك اعترافا بقوته و مروءته و كرمه، و هي فضائل يعتز بها كل عربي بأن تنسب إليه حتى قد اشتهر بعض أشراف العرب بإجارة الخلعاء و حمايتهم.

و كانت الصلة بين الجار و المجير تختلف بطبيعة الحال، وفقا للظروف فكانت أحيانا مؤقتة ز كانت أحيانا أخرى دائمة بل وراثية، و في بعض الأحيان كان المجير يتعهد أن ينصر جاره على عدو معين فقط، و في حالات أخرى كان يتعهد بإجارته من كل الأعداء بل من الموت نفسه، و كان هذا يعني ان يدفع المجير إذا مات و هو في جواره دية لأسرتة و أقوى هذه الحالات على الإطلاق هي التي يتعهد المجير لجاره بأن يثار له حتى من أخيه الصميم. ومن هذا كان العرب يسمون جارهم مقديهم أو هديهم "يحرم عليهم من الهدي" و هي تسمية تشعرنا بتلك القداسة التي كانت للجوار في نفوس العرب فهو عندهم شيء مقدس، كأنه قربان يتقربون به إلى الآلهة، و مما يلقي ضواء على هذه الفكرة أن بعض المكيين كانوا يقسمون على حمايتهم لجارهم في الكعبة و كان هذا القسم يتخذ صورة إعلان اعم و لا يستطيعون التحلل منه إلا في الكعبة أيضا.[1]

و في مقابل هذه الحقوق التي كانت للجار، كانت عليه واجبات لمن أجاروه و تتلخص هذه الواجبات في ان يحترم الجوار، و لا يسيئ إلى من اجاروه، لا في أشخاصهم و ال في سمعتهم،

1 - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص 97-98-99.

لا في حياتهم المادية و لا في حياتهم المعنوية فإذا ما رأت القبيلة ما يسيؤها من جارها كان لها الحق في أن تخلعه [1]

و يقول عوف بن عطية التميمي مصورا افتخاره باحترامه لجاره:

**و أمنع جاري من المُجْحِفا * ت، و الجار ممتنع حيث صارا.**

**و أعددت للحرب مليونة * ترد على سائسها الحمارا** [2]

و هجا الشعراء كل من غدر بجاره، فالجميع الأسدي يهجو عيسى لأنهم قتلوا نضلة بن الأشتر الفقعسي الذي كان جارا لهم:

**يا جار نضلةَ قد أنى لك أن * تسعر بجارك في بني هدم**

**متنّظمين جوار نضلةَ * شاه الوجوه لذلك النظم**

**و بنو رواحة ينظرون إذا * نظر الندىُّ بأنف خثم**

و صور لنا قيس بن زهير، و كان قد جاور النمر بن قاسط بعد الهياءة، حقوق الجار و ما يجب أن ينعم به بعد أن ترك قبيلته من أمن ينعم به، وبرّينا له، ومعاملته بالمساومة، ورد كل أذى يتعرض له بالدفاع عنه:

**إن النمر في إجارته الجا * ر و أمن الطريد حظّا عظيما**

**يأمن الجار فيهم و ترى وَسْ * طهم ذا خؤولة معموما**

**يملأ الدلو قبل دلو أخي النمـ * ـر، و ما حوض جارهم مهدوما**

و كانوا يسمون جارهم بالهذي يقول زهير:

**فلم أر معشرا أمروا هديّا * و لم أر جار بيت يستاء**

[1]- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص -98-99.

[2]- الشعر الجاهلي حصاد قرن- عفيف عبد الرحمان. ص 39.

و يقول الأصمعي في تفسير هذا البيت: هو الرجل الذي له حرمة كحرمة الهدي و يقول عنترة العبسي في قراوش العبسي:

**هديّكم خير أبا من أبيكم * ابر و أوفى بالجوار و أحمد.**

و على الرغم مما كان ينعم به الجار من أمن بعد خوف فإنه لم يكن ليتساوى مع أبناء القبيلة و كان يستشعر الغربة، و يحس بالمهانة، و لذلك لم يكن بعض الذين تخلعهم قبائلهم يقبلون أن يلتحقوا بمن يجيرهم، بل كانوا يعيشون جماعات في الصحراء تغزو و تسطو على أموال القبائل و أنعامهم و عرفوا ف ذلك الوقت بالصعاليك. و يكفي المستجير هوانا وذلة أن ديته كانت نصف دية الصريح ابن القبيلة و لكن لم تكن حاله دوما هكذا فلقد نشبت حروب بين القبائل بسبب امتهان ذلك الجار أو قتله، و لقد هدد "الأوس" بقتل "عامر بن الإطنابة" زعيم الخزرج إن لم يدفعوا دية جارهم أو يسلموهم القاتل و لما رفضت الخزرج استعرت حرب فارع بينهم واستمرت حتى حمل ديته عامر بن الإطنابة نفسه.

و كما يكون الجوار للأفراد فإنه يكون كذلك للقبائل، فقد تضطر قبيلة لترك منازلها و التحرك في الجزيرة هاربة من خطر يحدق بها، فتجد نفسها مضطرة إلى مجاورة القبيلة التي ترغب في النزول بجوارها و تعقد بينهما و بين تلك القبيلة حلف. ففي حرب داحس و الغبراء؟، و بعد أن فتكت عبس بأختها ذبيان في يوم جفر الهياءة أحست عبس بالخطر، و بتكتل ذبيان عليها و تأليبها حلفاءها فقررت الارتحال، فتحركت نحو الشرق و جاورت في رحلتها الطويلة كل من بني حنيفة و تميم و بني عامر و غيرهم و كانت في كل مرة فيها تقيم بجوار إحدى هذه القبائل تحاول القبيلة النيل منها و الاعتداء على حقوقها و أموالها، فتضطر إلى محاربتها و الرحيل عنها سرا و حاربت مع بني عامر يوم شِعْب جلبة.[1]

و في نهاية حرب البسوس، و بعد أن هزمت تغلب في يوم تحلاق اللحم، وعز على مهلهل أن يكون المسؤول عن كل الذين التهمتهم تلك الحرب، فقرر الرحيل بأسرته إلى اليمن ونزل في جنب، و قد أجبره أولئك على تزويجهم ابنته.

1- المرجع نفسه ص 42

و هكذا نرى أن الجار لم يكن يحافظ على حقوق جاره دائما، كما نرى أن الجوار لم يكن مقصورا على الأفراد، بل كانت القبائل تجاور، كما نفهم من معاجم اللغة أن الجار و الحليف معناهما واحد، فالجار حليف لجاره الذي أجاره.

### 4 -الحرب و الثأر:

لعّل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء، حتى لكأنه أصبح سُنة من سننهم، فهم دائما قاتلون مقتولهم، لا يفرغون من دم إلا إلى دم، و لذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم و صغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر، فهو شريعتهم المقدسة، و هي شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية، إذ كانوا يحرمون على أنفسهم الخمر و النساء و الطيب حتى يثأروا من غرائمهم، و لم يكن لأي فرد من أفراد القبيلة حق و لا ما يشبه الحق في نقض هذه الشريعة و لا في الوقوف ضدها أو الخروج عليها، فما هي غلا أن يقتل أحد منهم، فإذا سيوف عشيرته مسلولة، و تتبعها العشائر الأخرى في قبيلته، تؤازرها في الأخذ بثارها، و يتعدد القتل و الثأر بينهما و بين القبيلة المعادية، و تتوارثان الثارات حتى يتدخل من يصلح بينهما و يتحمل الديات و المغارم، و لم يكونوا يقبلونها و لا بعد تفاقم الأمر إلا بعد تفاقم الأمر و إلا بعد أن تأتي الحرب على الحرث و النسل، أما قبل ذلك فكانوا يعدونها سُبة و عارا و في ذلك يقول عبد العُزي الطائي:[1]

**إذا ما طلبنا تَبْلنا عند مَعشَرٍ * أَبَيْنا حْلابَ الدّرْ أو نشرب الدّما.**

فهم لا يرضون بالدية و يرونها ذلا ما بعده ذل أن يستبدلوا بالدم الإبل و ألبانها، فالدم لا يشفيهم منه إلا الدم و يقول في هذا تأبط شرا:

**قليلك غِرار النوم أكبر همَّه * دَمُ الثَأرِ أو يلقى كميًّا مُسْعَفا[2]**

1 - الشعر الجاهلي حصاد قرن- عفيف عبد الرحمان. ص 42.

2- العصر الجاهلي- شوقي ضيف- ص 62

و يتمنى مشاعر الحماسة لو قُبل الحي الموتور المال فدية إذن لساقوا لهم سبيلا مفعما من المال و لكنهم قوم يرفضونها من العار لذلك اختار الدم على اللبن:

**فلو أن حيا يقبل المال فدية * لسقنا لهم من المال مفعما.**

**و لكن ابن قوم أصيب أخوهم * رضا العار فاختاروا على اللبن الدما.**

و على الرغم من تشبث المجتمع القبلي بشريعة الثأر فإنهم كانوا يقبلون الدية أحيانا كحل وسط، و يتخلون عن طلب الثأر في بعض الأحيان.[1]

و لعل من أبرز الحروب، حرب البسوس و حرب داحس و الغبراء لأنهما من أشهر الحروب و أطولها زمنا، فحرب البسوس قد اشتعلت بين قبيلتي بكر و تغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي، وكان سببها اعتداء كليب سيد تغلب و كان قد طغى و اشتد بغيه على ناقة للبسوس خالة جسّاس بن مرة سيد بني بكر، إذ رمى ضرعها بسهم، فاختلط دمها بلبنها، و لما علم جسّاس بما حدث ثار لكرامته، و سمحت له فرصة من كُليب فقتله، و دارت حرب طاحنة ظلت فيما يقال أربعين سنة.

و أما حرب داحس و الغبراء فكانت في أواخر العصر الجاهلي و كان السبب في نشوبها سباقا على رهان بين الفرسين، فسميت باسميهما، و كان قد أجراهما سيدا عبس و ذبيان: قيس بن زهير و حذيفة بن بدر، و أوشك داحس أن يفوز، غير أن رجلا من ذبيان كان عمّن له فاعترضه و نفره، فعذل عن الطريق وبذلك سبقته الغبراء، و أبى قيس أن يعترف بهذا السبق و طُلب الرهان المضروب وحدث صدام بين الفريقين لم تلبث الحرب أن اندلعت على إثره، و ظلت

[1]- الشعر الجاهلي حصاد قرن- عفيف عبد الرحمان. ص 52

سنوات طويلة حتى تدخل سيدان من ذبيان هما "هرم بن سنان" و "الحارث بن عوف المرّي" فتحملا ديات القتلى وبذلك وضعت الحرب أوزارها بين القبيلتين[1].

و يحرص على أن يتم الأخذبالثأر جهارا و على ملأ من الناس، و ما أمكنه ذلك يعلم الناس جميعا أن قوم المقتول قد أخذوا بثأرهم، و أخبار الأيام حافلة بذلك، و يتجلى قانون التكامل و التضامن القبلي في قوانين الثأر، فثارت الوقائع و أصبحت كل قبيلة إما واترة أو متوترة:

**يُغار علينا واترين فيُشْفى * بنا إن أصبنا أو نغير على وَتْرِ**[2]

و بهذا كان الثأر من أهم الصفات التي يتحلى بها الفرد في العصر الجاهلي و التي أدت إلى نشوب الحروب و تغلغل الحقد في النفوس و هذا ما جعل القبائل العربية في الجاهلية لا تعرف الاستقرار و الأمن.

### 5 المرأة:

لعبت المرأة دورا كبيرا في العصر الجاهلي، حيث كانت ملازمة للرجل في كل المجالات وهذا بفضل الأخلاق التي كانت تتمتع بها و الملاحظ أنها كانت محصورة بين كل ما هو سيئ و كان هناك نوعان من النساء، إماء و حرّات، و المرأة في حياة الشاعر هي مصدر إلهام بالنسبة له و هي بمثابة القلب في الجسد كما أنها تمثل الخصيب و الحياة فهي منبع الحنان و موطن الإستقرار، فقد نظمت في المرأة قصائد فريدة من نوعها تعالج كل متعلقاتها من خلال غرض الغزل واصفين جمالها الجسدي و جمالها المعنوي.

[1]- العصر الجاهلي- شوقي ضيف- ص 65-66

[2]- الشعر الجاهلي حصاد قرن- عفيف عبد الرحمان. ص 54

" وهذا امرئ القيس يتغزل بالمرأة فيقول:[1]

**و تضحى قيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضُحى لم تَنْتَطِقْ عن تَفَضُلِ**

و يقول المنحل الشكري في فتاته:

**الكاعب الحسناء تر * فل في الدِّمقس و في الحرير**

و لم يقفوا عند جمالها الجسدي، فقد تحدثوا أيضا عن أخلاقها و الشيم و الخصال الكريمة التي تتميز بها فيقول الشنفرى:

**لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها * إذا مشت و لا بذات تلفت**

و كانت للمرأة ذكريات مع الرجل في بعض المعاهد و المنازل و يمزحون ذلك بالدموع على نحو ما يقول امرئ القيس في مطلع قصيدته:

**قفا نَبكِ من ذكرى حبيب ومنزل * بسقطِ اللوى بين الدّخولِ فحومل**

و يقول شاعر آخر:[2]

**و تحسب سلمى لاتزال ترى طلاّ * من الوحش أو بيضًا بميثاء محلال**

**و تحسب سلمى لا تزال بعهدنا * بواني الخزامى أو على رسِّ أو عال**

و لهذا فقد كانت المرأة مصاحبة للرجل فكان كل مكان ذكريات عاشها الشاعر مع محبوبته و هذا يوضح لنا مكانة المرأة في حياة العربي.

[1]- العصر الجاهلي- شوقي ضيف- ص 74

[2]- الأدب الجاهلي- غازي ظليمات ص 112

**6 – الدين**: معظم العرب في الجاهلية وثنية تؤمن بقوى إلهية كثيرة تتمثل في مظاهر الطبيعة و الكواكب و آمنوا بقوى أخرى مثل الحيوانات و النباتات و الطيور و الجمادات، فقد كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى و يعبدون الأصنام و يتخذونها رمزا لآلهتهم، كما أنهم كانوا يرون في بعض الأحجار و الأشجار و الآبار ما يرمز إليهم "ففي أخبارهم أن العزّي كانت لغطفان و هي شجرة بوادي نخلة شرق مكة قطعها خالد بن الوليد و هو يقول:

**يا عُز كُفرانك لا سبحانك * إنّي رأيت قد أهانك**

و يشير القرآن الكريم إلى بعض آلهتهم و رموزها من أصنامهم و أوثانهم فيقول جل و علا :﴿ *أفرأيتم اللات و العُزّى و مناة الثالثة الأخرى*﴾*

و كانت عبادة اللات و الشمس شائعة بين العرب الجنوبيين و في الحجاز، و يقال أنه كانت مناة صخرة منصوبة على ساحل البحرين مكة و المدينة، و هي ترمز إلى الموت حسب معتقداتهم و تدل على القضاء و القدر و كانت معظمة عند هُديل و خزاعة و العرب جميعا خاصة الأوس و الخزرج حيث كانوا يحجون إلى مكة و يقفون مع الناس المواقف كلها و وراء هذه الأصنام التي ذكرها القرآن الكريم أصنام كثيرة كانت تتعبد لها قريش و القبائل العربية في الجاهلية "حيث كان عند فتح الرسول صلى الله عليه و سلم لمكة ثلاثمائة وستون صنما، و كان أعظمها عند القريشيين هُبل و الذي كان باسمه ينادى أبو سفيان في "معركة أحد": أعلُ هبل" [1]

و من الأصنام المشهورة لديهم رضا و تميم و شمس... حيث كانوا يتخذون من هياكل هذه الأصنام و الأوثان أنصابا من حجارة و يصبون عليها دماء الذبائح التي يتقربون بها إلى إلاههم.

* - الآية 19 – 20 من سورة النجم.

[1]- العصر الجاهلي – شوقي ضيف ص 90.

و عند مجيء الإسلام هاجم هذه الأصنام و دعا إلى التخلي عن عبادتها و وضع عقابا صارما لمن يعبدها و يكفر بالله، فالله وحده عز و جل من يتحكم في الكون أما هذه الأصنام فهي لا تنفع و لا تضر.

### 7 الفروسية:

إن الفروسية عند العرب هي في ركوب الخيل، و هي لا تقتصر على مهارة الفارس في ثباته على ظهر الحصان، بل تشمل جانبا آخراً معنويا يتمثل هذا الجانب في في روح الفروسية بكل ما يحمله هذا المفهوم من قيم و أخلاق، و تمثل الفروسية مظهرا طبيعيا من مظاهر حياة العربي منذ جاهليته، فنتيجة لظروف طبيعية و اجتماعية و اقتصادية و نتيجة لما كان يشعر به من تحدي الآخرين، اتخذ الفروسية وسيلة لمقابلة هذه التحديات، "فهو لم يكن يمارس الفروسية بهدف الرياضة و إنما فرضتها عليه ظروف الحياة السابقة التي كان يحياها، فلم يستقر به المقام في أرض حتى يرحل عنها إلى أرض جديدة بحثا عن مواطن الكلأ و منابع الماء".[1]

ارتبطت الفروسية بالحرب منذ أن وعي الإنسان دور الخيل فيها، و أيام العرب الحافلة بحروب قامت بسبب عوامل تتعلق بطبيعة الحياة الصحراوية، بما فيها من قسوة المناخ، و طبيعة الفكر العربي المتمثل في حب الطبيعة،، وحماية الجار و الأخذ بالثار فالبذوي نجده متأهب لأي مواجهة من هذا القبيل، و نجد أيضا الإسلام قد شجع الفروسية كما جاء في قوله تعالى:﴿ *وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ*﴾.*

فمن هذه الآية الكريمة نخلص إلى أن الفروسية أمر مقّدس عند العرب و شجّع عليه الإسلام، فلقد كانت القوة شرطا من شروط وجود الإنسان، و عاملا من العوامل التي تؤدي دورها الفاعل في مجموعته لذا كان الفارس مَكْرَمَةً من مكارم قومه، ومفخرة من مفاخرهم يعتزّون به و يتسيدون ببطولتهم فهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلا سواهم و لا يثقون فيها بغيرهم.

## المبحث الثاني: أخلاق المجتمع الجاهلي.

[1]- الفروسية للإمام ابن القيم الجوزية، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1991 م.

*- سورة الأنفال الآية 61.

لقد كان العرب في الجاهلية في الصحراء و البادية، فلم يجدوا ملاذا يلجؤوا إليه سوى الخيام المتفرقة هنا و هناك، فقد كانوا في ذلك الوقت يشعرون شعورا مشتركا و هو الضعف و العجز تجاه طبيعة بلادهم القاسية التي كان يعتريها الجفاف و القحط ففرض عليهم هذا الشعور بالحاجة الماسة إلى مكارم و أخلاق فاضلة منها الضيافة لكي تمتد و تستمر الحياة و يتواصل البقاء فتغدوا الصحراء بعد أن كانت مهلكة بطبيعتها و ظروفها، آمنة بكرم إنسانها متآخية بتكافل أبنائها و بذلك ينجوا فيها الفرد من تلك القسوة و الصعوبة و فضائل العرب التي كانوا يفخرون بها في الجاهلية كثيرة و متعددة و منها نجد:

**1 – الكرَم:** و هو من أهم الخصال التي بعثتها صعوبة العيش في البيئة الصحراوية و كثرة الترحال و التجوال، فالطبيعة القاسية لقنت إنسانها مهما كان فقيرا درسا في الكرم و الجود و أن عليه تقديم ما عنده لمن يأتيه و إنقاذ حياته من قحط البادية و شحها، و تجلى كرمهم في:

- **استقبال الضيف:**

استقبل الضيف أحسن استقبال من قِبل مضيفه في الجاهلية فكانت البشاشة تعُمّ وجهه برؤية هذا الضيف حيث حضي الضيف بعبارات الترحيب و الملاطفة و التأنيس و الانبساط التي هي من حقوقه و قد كان للتحية اثر هام لدى لقاء الضيف.

"يقول ضمرة بن ضمرة النهشلي:

**و قلت له: أهلا و سهلا و مرحبا * و أكرمته حتى غدا و هو حامد** [1]

– فالتحية و عبارات الترحيب لها أثر عميق في نفسية الضيف، حيث تجعل الضيف مرتاحا كما لو كان في بيته.

" اما الأعشى فيقول:

[1]– قراءة فيالشعر الجاهلي "حمدي محمود منصور" ص 65.

**أهلا و سهلا و مرحبا * أرى رحما قَدْ وافَقَتْهَا صِلاتُها**

**أثَارَ له مِنْ جانِبِ ٱلبَرْكِ غُدْوَةً * هُنَيْدَة يَحْدوها إليها رُعاتُها[1]**

– فعبارات الترحيب نجدها عند كثير من الشعراء الجاهليين امثال عروة بن الورد الذي يُشهد زوجة أم مالك على حسن استقباله لضيفه فيقول:

**سَلِّي الطارق المعتر أُمض مالك * إذا ما أَتاني بَيْت قدْري و مجْزَرِي**

**أَيُسْفِرُ وجهي إنّه أول القرى * و أَبْذَلُ مَعْروفِي له دونَ منكرِي**

و حاتم يلاقى ضيفه قبل أن ينزل عن راحلته، متبسما في وجهه شغوفا لملاقاته على الرغم من ضيق حاله يقول:

**أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله * و يَخْصِبُ عِندي و المحلُ جديب**

**و ما الخصب للأضياف لأن يكثر القرى * و لكنّما وجه الكريم خصيب[2]**

و كان كثيرا ما ينفق ما عنده و يبيت الطوى هانئا سعيدا و من طريق ما يروي له قائلا لزوجته:

**إذا ما صنعتُ الزاد فالمسي له * أكيلا فإنّي لستُ آكله وحدي**

**أخا طارقا و جار بيت فإنني * أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي**

و هذين البيتين يوضحان كرم عروة و حسن استقباله لضيفه.

كما نجد صورة الكرم المؤثر حتى عند صعاليكهم و قراصنة صحرائهم فقد كان من هؤلاء الصعاليك من يتسامى في صعلكته فإذا هو لا يقل عن السادة من فرسانهم كرما وإيثارا على نفسه من خير من يصور ذلك عروة بن الورد و كان

[1]– ديوان الأعشى ط1– 1955 م– دار صادر بيروت ص 32.

2– قراءة في الشعر الجاهلي ص 65.

فارسا و كأنما هذيت الفروسية صعلكته فإذا هو يضع لنفسه تقليدا أن لا يغير إلا على الأغنياء أشحاء النفوس الذين لا يبرون من حولهم و لا يقدمون القرى لمن يطرقهم يقول:

**لعل إنطلاقي في بلاد و رحلتي * وشدّي حيازيم المطية بالرحل**

**سيد فعني يوما إلى رب هجمة * يدافع عنها بالعقوق و بالبخل**

و تقليد ثان أن ألهمته به الفروسية هو أن يوزع ما يغنمه من مال هؤلاء الأغنياء البخلاء على الفقراء و الضعفاء من عشيرته، فهو لا ينهب بغية للنهب، و إنما ينهب ليؤدي واجبا إنسانيا نبيلا، و يروي أنه تعرض له شخص من عشيرته ينعى عليه هزاله وضموره وتغير لونه فقال:

**وغني امرؤ ما في إنائي شركة * و أنت امرؤ عافى إنائك واحد**

**أتهز أمني أن سمنت و أن ترى * بوجهي شحوب الحق، و الحق جاهد**

**اقسم جسمي في جسوم كثيرة * و أحسوا قراح الماء، و الماء بارد**[1]

واضح أنه يقول لصاحبه أن أحد لا يشركه في إناء طعامه، أما هو فيشركه كثيرون من العفاة و المحتاجين ز من أجل ذلك يسمن صاحبه، أما هو فأصبح ضئيلا نحيلا، و ما شحوب وجهه إلا أثر من آثار نهوضه بحقوق المعفرين و السائلين للمعروف و لم يلبث أن قال إنه يقسم طعامه بينه و بين العفاة أو بعبارة أدق يقسم جسمه في جسومهم، بل كثيرا ما يؤثرهم بطعامه و بما جلب من غنائم مكتفيا بحسو الماء البارد على حين يعصف الشتاء بزمهريره.

و عروة الصعلوك يقدم بذلك صورة رفيعة للإيثار و كأنني به كان يستشعر فكرة التضامن الاجتماعي فهو ينهب مال الأشحاء ليرد على الفقراء و البؤساء من عشيرته، و يدفع عنهم غوائل الجوع و البؤس و الحرمان و الشقاء و قد اكتسب

1- من المشرق إلى المغرب الدكتور شوقي ضيف ص17 -18.

بذلك لنفسه مجدا ظلت الأجيال التالية تذكره، إذ يروى أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول "لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم" و يقال أن بعض العرب استأذن في الدخول عليه قائلا لأذنه: أنا ابن مانع الضّيم، فقال معاوية للآذان:" ويحك لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد الحضين بن الحمام المري" و يذكر الرواة أن عبد الملك بن مروان كان يقول "من زعم أن حاتم أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد" [1]

2 - **الوفاء بالوعد:** مما عرف به العربي في الجاهلية الوفاء بالوعد فكان الرجل إذا نطق بكلمة وجب العهد بها و إلا عرض شرفه للتجريح "وقد ضربوا المثل في الوفاء بالسموؤل بن علياء: فقالوا: أن امرئ القيس قد أودعه ماية درع، فأتاه غلام الحارث الغساني ليأخذها منه، فتحصن منه السموأل، فأخذ الحارث ابنا له غلاما، و كان في الصيد فقال: إما سلمت الأدراع إلي، و إما أن قتلت ابنك، فابى السموأل أن يسلم إليه الأدراع، فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين فقال في ذلك:

**وفيت بذمة الكندي إنّي * إما ما ذم أقوام وفيت**

**و أوصى عادلا حصنا حصينا * و ماء كلما شئت استقيت** [2]

فالسموأل هنا لم يسلم الدرع للحارث الغساني و فضل قتل ابنه على أن يعطيه الدرع لأنه لامرئ القيس و هنا كان الوفاء بالشيء أي الحفاظ على الأمانة.

- و لقد بلغ من كراهية العرب لمن يغدرون و لا يوفون بالعهود، حيث قاموا بالتشهير بهم في سوق عكاظ ليعرفهم الناس بغدرهم، و كان هذا بمثابة درس لهم حتى يتخلوا عن ذلك "يقول قطبة بن أوس ينفي عن نفسه و قومه الغدر و يفخر بأنهم قوم أوفياء:

**أُسَّمى و يحكَ هل سمعت بغدرة * رفع اللواء لنا بها في مجمع**

[1]- من المشرق إلى المغرب الدكتور شوقي ضيف ص18.

2- أدب العرب في الجاهلية الدكتور حسين الحاج حسن. ص 137.

**غنا نعف فلا ريب خليفنا * و نكف شح نفوسنا في المطمع**

و في هذين البيتين سببين يجعلان المرء يغدر أحيانا و لا يفي بوعده أحدهما دناءة النفس و عدم عفتها، فيطولها ما خرجت عنه، و ثانيهما شحها و طمعها فتعتريها الكزارة بعد الجود"[1]

و قد حفظ التاريخ أمثلة كثيرة تروي عن تمسك العربي بهذه الخصلة الحسنة و التي كان يطبقها في تعامله مع أفراد قبيلته أو القبائل المجاورة له، فكان يفخر بها و يذم من لا يتمسك بها.

### 3 – المروءة و النجدة:

كان العرب يتنادون بالموت قتلا، و يتهاجون بالموت على الفراش.

قال أحدهم لما بلغه قتل أخيه، أن يقتل فقد قتل أبوه و أخوه، وعمّه، إنّا لا نموت حتفا و لكن قطعا بأطراف الرماح و موتا نحت ظلال السيوف.

فكان العرب لا يقدمون شيئا على العزّ و صيانة العرض، و حماية الحريم استرخصوا في سبيل ذلك نفوسهم ونلمس ذلك فيما يقوله عنترة:

**بكرت تخوفني الحتوف كأنني * أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل[2]**

**فأجبتها إن المنيّة منهل * لابدّ أن أسقى بكأس المنهل**

**فأقني حياءك لا أبا لك و اعلمي * أني اِمرؤُ سأموت إن لم أقتلِ1**

[1] - الفتوة عند العرب– عمر الدسوقي –ط 4– دار النهظة مصر للطبع و النشر– الفجالة ص 117.

[2] - ديوان عنترة – فاروق الطباع ص 82.

يتضّح من خلال أبيات عنترة بأنه لا يخاف الموت و بأن مآله الموت فهو لا يقبل الذل حتى لو كان على حساب حياته.

" و قال أيضا:

**لا تَسْقني ماء الحياة بذُّله * بل فاسقني العِزّ كأس الحنظل.**

**ماء الحياة بذله كجهنم * و جهنم بالعز أطيب منزل"2**

– و هذا يؤكد أن عنترة نفسه و عفته فهو لا يرضخ للذل حتى لو كان من أجل حياته فهو يفضل العز حتى لو كانت حياته مثل طعم الحنظل فهو يشبه لنا حياة الذل كجهنم و جهنم بالعز عنده أفضل مكان يعيش فيه.

– و منه فالعرب بفطرتهم هم أصحاب شهامة و مروءة فهم يأبون الذل و الإستكانة للآخر كما يرفضون أن ينتهز القوي الضعيف و كان إذا استنجد بهم أحد أنجدوه و يرون من النذالة التخلي عمن لجأ إليهم.

**4 – الرفق بالحيوان:**

لقد اهتم العربي في العصر الجاهلي اهتماما بليغا بالحيوان و ذلك لهذا الأخير من أهمية في حياته حيث كان اعتماده الأولي في عيشه و تحصيل رزقه فكان قريبا لنفسه و عواطفه، فيتغدى من لبنه و حارب في المعارك و الغزوات بواسطته، و استعمله في رحلته الطويلة و الشاقة فكان خير أنيس له، فقد قام الشعراء بوصف جسمه عضوا عضوا [3]

و تحدثوا عن عاداته و صفاته ولعل أبرز الحيوانات التي يتغنى بها العرب "الناقة" لأنها كانت رفيقة سفره ومصدر الخير و الرزق و الواسطة الأكيدة للرحلة و الوصول إلى الحبيبة.

و قد قام طرفة بن العبد في معلقته في ثمانية وعشرين بيتا و وقف عندها وقفة طويلة متأملة فقال:

**و إنّي لأمضي الهمّ عند احتضاره * بعوجاء مرقال تروح و تغتدي**

**أمون كألواح الأران نسأتها * على لاحب كانه ظهر بُرجُد[1]**

[1]- ديوان عنترة – فاروق الطباع ص 82.

2– السيرة النبوية لأبي شحمية ص 95.

3 – أدب العرب في الجاهلية الدكتور حسين الحاج حسن. ص 156

كما اعتنى الجاهليون بالخيل عناية فائقة، فهي زينة الفارس يمتطيها في نزهته و صيده وتكون حصنه في الغزوات و الغارات، و سلاحه في الكر والفر، و كان لكل فرس اسم خاص بها و نسب معروف، فوصفوها وصفا دقيقا لا يقل عن وصف الناقة، جسمها وقوتها و عظم هيكلها و سرحتها و نشاطها و حمحمتها و الخيل عندهم صنفان منها ما يستعملونها في الصيد و اللهو و الطرب كفرس امرئ القيس، و نوع آخر أعدوه للحرب و القتال و الفروسية، كفرس عنترة المتسربل بالدم قال امرئ القيس:

**و قد اغتدي و الطير في وُكناتها * بمنجرد قيد الأوباد هيكل**

**مكرٍّ مفرٍ مدبر معا * كجلمود صخر حطّه السيل من عَلِ**

" و قال عنترة موضحا حال عاطفة جواده و قوته وشدته:

**يدعون عنتر والرّماح كأنها * أشِطان بئر في لَبَانؤ الأدهم**

**مازلت أرميهم بثغرة بحره * و لَبَانه حتى تسربل الدم2**

وقد تناول الشعراء الجاهليون كل ما حولهم من حيوان في الصحراء فوصفوا الطيور كالباز والعقاب و الغراب و النعامة و اهتموا بها، حتى نجدهم استعانوا في وصف المرأة بتشبيهها ببعض صفات الحيوان فالمرأة الجميلة كالظبية في جمال عنقها و كالبقرة في حور عينها و الاطفال كالغزلان.

و بهذا يتضح لنا بأن الحيوان حضي بمكانة عالية وعظيمة من الحب والعطف و الاهتمام و الرعاية من طرف الإنسان الجاهلي و ذلك لما له من أهمية كبيرة في عيشه و في حروبه و تنقله.[1]

[1]- أدب العرب في الجاهلية الدكتور حسين الحاج حسن. ص 156

[2]- ديوان عنترة– دار صادر بيروت– ص 29.

## 5 – بعض الأخلاق الذميمة في المجتمع الجاهلي:

و لقد شاع في المجتمع الجاهلي آفات و أخلاق ذميمة لعل أهمها الخمر و استباحة النساء و القمار، حيث نجد الخمرة هي شغلهم الشاغل، و كثر الحديث عنها و عن كؤوسها و حوانيتها و مجالسها مثل الأعشى وقيس و عدي بن زيد العبادي الحيري فهم تغنوا بها كثيرا في أشعارهم فخورين بشربها و تقديمها لأصحابهم.

كان اليهود و النصارى هم أكثر من يتاجر بها آنذاك حيث كانوا يجلبونها من البصرة و بلاد الشام و من الحيرة و بلاد العراق...

فكانوا يضربون خيامهم في بعض القرى و يضعون فوقها راية تعلن عهم فيأتيهم الشباب ليشربوان فمنهم من يدمن عليها حتى تنفره قبيلته و قد تطرده من القبيلة لما يقع فيه من الذمائم.

« على نحو ما يروى عن "البرّاص بن قيس الكناني " أحد أدلاء القوافل في الجاهلية إذ كان سكيرا فاسقاً، فخلعه قومه و تبرأوا منه و يقول طرنة في معلقته

**و ما زال تشرابي الخمور و لذتي * و بيعيي و إنفاقي طريفي و متلدي**

**إلى أن تحامتني العشيرة كلها * و أفردت إفراد ال البعير المعّبد**

**و لولا ثلاث هن من عيشة الفتى * و جدّ له لم أحفل متى قام عُوِّدي»** [2]

فالخمر و الفروسية في الحرب و التمتع بالنساء هي الخصال الثلاثة التي تميّز الفتى آنذاك، و نلمس هذا فيما صوّره لنا طرفة في الأبيات السابقة كما نلحظها بقوة عند الشعراء الصعاليك.

محاولين بذلك مخالفة قوانين القبائل و عاداتها، و فرض أنفسهم في مجتمعهم و أشهر أولئك عروة.

[1]- أدب العرب في الجاهلية الدكتور حسين الحاج حسن. ص 156

[2] - العصر الجاهلي شوقي ضيف- ص 70.

« فقد عمّ في ذلك العصر شرب الخمر و ما يترتب عنها من استباحة النساء بالإضافة إلى القمار و ما يسمى بالميسر، فكانوا يطبقون عادلت غريبة حيث يقومون بذبح ناقة و يقسمون الذبيحة إلى عشرة أجزاء ثم يأتون بأحد عشر قدحاً لإجراء قمارهم عليها، و كانوا يجعلون لسبعة منهم نصيبا إن فازت، أما من خابت فيغرم أصحابها و الذي يحضى بالنصيب الأكبر يسمى "المعُلى" والأربعة الباقية فلا حظ لها حتى إن فازت» [1].

و أكبر دليل على وجود الخمر و الميسر بكثرة في الجاهلية هو مهاجمة الإسلام لهما و كذا ما وضع لهما من عقاب صارم حتّى يكف العرب عنها يقول عزّ و جل:﴿ *يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا*﴾ *

و قوله جلّ و علا:﴿ *إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ*﴾ **

فقد و صف الخمرة بأنها رجس من عمل الشيطان أي أنها أم الخبائث و توجد أيضا عدة أحاديث نبوية تنهى نهيا قطعيا عن شرب الخمر و عن الميسر. و هذا ما يدل بشدة على انتشار هذه الدمائم بين عرب الجاهلية.

« و في أخبار ألأعشى أنه لما سمع بالرسول-صلّى الله عليه و سلّم- رغب في الوفود عليه بالمدينة و علمت قريش فتعرضت له و منعت و كان مما قال له أبو سفيان "أنه ينهاك عن خِلالٍ كلها لك رافق و لك موافق" و لما سالأه عنها أجابه الزنا، الزنا، القمار، الخمر، فعدل الأعشى وجهته و هكذا هاجم الإسلام هذه الآفات و قضى عليها» [1]

[1] – يرجع شوقي ضيف – العصر الجاهي ص 71.
* - الآية 219 من سورة البقرة.
** - الآية 91 من سورة المائدة.

و إضافة إلى هذه الأخلاق التي تطرقنا إليها ساد العصر الجاهلي أخلاق أخرى مثل وأد البنات و الظلم، فكان القوي يأكل الضعيف، الاستعباد و العنصرية لسواد البشرة إلى غيرها من الأخلاق.

[1] - العصر الجاهلي شوقي ضيف ص 72.

## تمهيد:

عرف العصر الجاهلي ظاهرة خاصة هي ظاهرة التصعلك، قام بها أفراد احتقرهم المجتمع القبلي، فعاشوا على هامشه، لكنهم استطاعوا بفضل المسار الذي خطوه لأنفسهم أن يضفوا على تسميتهم السلبية، الصعاليك، أبعادا جديدة يرتفعوا بها بحيث صارت اسم علم يدل على حركة حظيت باهتمام الباحثين المعاصرين اهتماماً يفوق الاهتمام الذي عومل به هؤلاء الصعاليك إبان حياتهم فخصهم بعض الدارسين بدراسة مستقلة[1]

و رأى آخرون أنهم دعاة اشتراكية ما[2]، فيما يذهب باحثون آخرون إلى أنهم ثائرون ومتمردون[3].

ولقد اختلف الأدباء في تحديد مفهوم دقيق للصعلكة لأن ذلك ليس بالأمر الهين غذ أنه من غير المعقول أن ننسب ظاهرة الصعلكة إلى مفهوم محدد، نظرا لتعدد الآراء في ذلك. وهذا ما دفعنا للبحث عن مفهومها.

و من أشهر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي نجد "الشنفري" الذي تميز بشجاعته وحدّة ذكائه ودهائه الذي سنتطرق لتفاصيل حياته في هذا الفصل.

[1]- دراسة يوسف خليف. الشعراء الصعاليك. دار المعارف بمصر – القاهرة 1909 م.

2- الحياة العربية من الشعر الجاهلي.د . أحمد محمد الحوني- دار النهضة مصر 1972 .ط 5- ص 304.

3- موسوعة الشعر العربي: الشعر الجاهلي مطاع صفدي و الياحاويمكتبة خياط- بيروت 1974

❖ **مفهوم الصعلكة لغة واصطلاحا:**

**أ/ في اللغة:** الصعلكة في اللغة كلمة. جمعها، صعاليك ومفردها صعلوك المشتقة من الرباعي صعلك، يصعلك، صعلكة بمعنى افقر/ ومزيده تصعلك يتصعلك تصعلكا[1].

و في لسان العرب[2] الصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، ولا اعتماد قال حاتم الطائي:

**غَنَيْنَا زَمَانَا بِالتَّصعْلُكِ والغِنَى * فَكُلاً سَقَانَاهُ، بكأسِهما الدّهر**

**فَمَا زَادَنَا بَغْيًا على ذي قَرَابَةٍ * غِنَانَا، ولا أَزْرَى بِاحْسَابِنَا الفَقْرُ**

تتمثل الصعلكة في المعنى الذي نراه في قول حاتم الطائي، الذي يتخذ منه اللغويون موضوعا للاستشهاد، حيث أن المقابلة بين التصعلك والغنى تدل في وضوح أنه يستعمل التصعلك في معنى الفقر.

وقال الأصمعي في قول أبي داوود يصف خيلاً:

**قَدْ تَصَعْلَكْنَ في الرّبيعِ وَقَدْ قَرْ * رَعَ جِلْدُ الفَرَائِضِ الأقدامُ**

و قال: تصعلكن ودققن وطار عفاؤها عنها والفريضة موقع قدم الفارس وقال "شمر" : تصعلكت الابل إذا دقت قوائمها من السمن وصعلكها البقل وصعلك الثريدة، جعل لها راسها وقيل رفع رأسها والتصعلك: الفقر، وصعاليك العرب ذؤبانها، وكان عروت بن الورد يسمى: عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حضيرة فيرزقهم مما يغنمه، من هنا نستنتج أن مفهوم الصعلكة في هذه الدائرة اللغوية و التي تعني الفقر لم تأت بهذا المعنى تلقائيا زغنما عبر أطوار.[3]

ومن هنا نرى أن صاحبي اللسان والقاموس متفقان على أن المعنى الأصلي للصعلكة هو الفقر، وأن استعمالاتها تدور أيضا حول التجرد الذي هو معنى الفقر أو أثر من آثاره، و أن صاحب اللسان تقدم عن المعنى اللغوي للصعلكة

---

[1]- المفيد الغالي في الأدب الجاهلي/د. زبير دراقي/ ديوان المطبوعات الجامعية 07-1997. ص 174.

2- لسان العرب المحيط/ ابن منظور/ معجم لغوي علمي- قدّم له العلّامة الشيخ عبد الله العلايلي وتصنيف يوسف خياط- نديم مرعشلي- المجلد الثاني دار لسان العرب.

3- شعر الصعاليك منهجه و خصائصه- د. عبد الحليم حنفي- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. د. ط. ص 18.

خطوة نحو المعنى العربي وزاد الأزهري ولا اعتماد" فعن قوله "و لا اعتماد" يعبر عن معنى دقيق في مفهوم الصعلكة بالمعنى المعروف لها، وإذا كان الفقر من أهم الدوافع إلى الصعلكة، فإن ما يميز الصعاليك عن غيرهم من الفقراء أنهم رفضوا أن يعيشوا عالة على غيرهم وأن يجعلوا من أحد من الناس عمادا لهم، في حين رضي بعض الفقراء لأنفسهم عيش الذل و استدرار الحسنات ويعبر أحد الصعاليك و هو يكو بن النطاح عن هذا المعنى فيقول:

**و من يفتقر منا يعيش بحسامه و من يفتقر من سائر الناس يسأل**

و أما "الجوهري" فيقول في الصحاح عن الصعلكة الصعلوك الفقير ... وصعاليك العرب ذؤبانها، وكان عروة بن الورد يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه، والتصعلك الفقر، وقال الشاعر:

**غنينا زماننا بالتصعلك والغنى**

أي عشنا زماننا، ويقال تصعلكت الإبل إذا طرحت أوبارها..... وبهذا نجد أن الصحاح يتفق مع لسان العرب في أن المعنى الأصلي هو الفقر.[1]

ولكننا نلاحظ أن الصحاح بقوله"و ذؤبانها" قد تقدم نحو المدلول العرفي للصعلكة خطوة كانت أوسع من خطوة اللسان، فقد أشار بذلك أن الصعلكة تستعمل فيما فيما تستعمل فيه كلمة "ذؤبان" وأعني في شرحه لكلمة "ذؤبان" أن الذؤبان هم الصعاليك، وأن الصعاليك ليسوا مجرد الفقراء، وإنما يتلصصون، في حين انه لم يذكر لهذا المعنى صراحة في شرحه لفظة الصعلكة.

و من العجيب أن المعاجم الأخرى شاركت الصحاح في توضيح مدلول الصعلكة الاجتماعي أو العرفي عند شرحها لمادة "ذأب" أما مادة الصعلكة نفسها فقد اكتفت بالتركيز على معنى الفقر والاستعمالات التي تدور حوله وحول آثاره ولوازمه.

1 - شعر الصعاليك منهجه و خصائصه- د. عبد الحليم حنفي- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. د. ط. ص 19.

**ب- في الاصطلاح (الاستعمال الأدبي):**

لقد عرفنا أن كلمة الصعلكة في مادتها اللغوية قد اتخذت معاني كثيرة و مختلفة في مواقف شتى، لكن الشيء المتفق عليه حول هذه المفردة أن معناها يتجلى في كلمة الفقر، فمفهومها الذي نستكشفه من السياق لا يعني أنه يتفق دائما مع مغهومها اللغوي فهذا عمر ابن براقة [1] يغير عل إبله وخيله رجل من مراد فيذهب بها، فيأتي عمر. فيغير على المرادي فيستاق كل شيء له ويقول:

**تقول سُلَيْمي: لاَ تَعَرَّضْ لِتلْفَتٍ * وَلَيْلُكَ عن ليل الصّعاليك نائمُ**

**و كَيْفَ يَنَامُ اللَيْلَ منْ جُلِّ ماله * حسامٌ كَلَوْنِ الملِْحِ أبيْضُ صارم**

**ألم تعلَمِي أنّ الصعاليكَ نومهُم * قليلٌ إذا نام الخُلىَّ المُسَالِمُ**

في هذه الأبيات لانجد أن الشاعر يتحدث الفتى أو عن الفقر. فكلمة الصعاليك في هذه الأبيات لا تعني أبدا هؤلاء الفقراء، و غنما هم أبناء الليل أصحاب الإغارة للسلب والنهب، فالكلمة هنا خرجت من دائرتها اللغوية دائرة الفقر إلى دائرة أخرى أوسع وهي أن الصعاليك [2] هم زمرة من اللصوص تجردوا للسلب والنهب و قطع الطريق فأطلقت عليهم العرب اسم الصعاليك و قد خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم فتبرأت منهم، فأصبحوا وحوش الصحراء وذؤبانها، جعلوا قوتهم و شجاعتهم وسرعة عدوهم في احتراف الصعلكة والإغارة على أصحاب المال والزاد لتأمين عيشهم والإحسان إلى ذوي قرباهم و كثيرا ما كانوا يرتجلون الأشعار ويتغنون بمغامراتهم وكذلك [3] يروى عن امرأ القيس أنه غزى بني اسد ثائرا لأبيه وقد جمع جموعا من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب ومماليكها و نتهم أنفسنا بالسذاجة لو تصورنا امرأ القيس، وقد خرج ليثأر لأبيه الملك بجمع جموع من فقراء العرب المعدمين. فما أهمية الفقر إذن في معركة من معارك الثأر والذي يجعل امرأ القيس يجمع حوله جموعا من الفقراء ليغزوا بهم بني أسد.

[1]- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط2- دار المعارف بمصر 119. كورنيش النيل- القاهرة ج.م.ع. ص 25-25.

[2]- المفيد الغالي في الأدب الجاهلي/د. زبير دراقي/ ديوان المطبوعات الجامعية 07-1997. ص 174.

[3]- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط2- دار المعارف بمصر 119. كورنيش النيل- القاهرة ج.م.ع. ص 25-25.

من خلال هذه الرواية نرى بأنه إذا أوردنا كلمة الصعاليك بمعناها الذي هو الفقر. فليس من المعقول ان يتخّد امرأ القيس جماعة من الفقراء الجياع من أجل الثار فالمعنى هنا قد خرج من هذه الدائرة اللغوية إلى معنى آخر.

و في قصة أخرى النعمان بن المنذر حينما رفض أن يزوج كسرى قائلا لرسول كسرى "ما كان في عين السواء وفارس ما يغنيه عن بناتنا؟" فغضب عليه كسرى مما اضطر النعمان إلى أن يستجير بالقبائل حتى نزل سرا في بني شيبان عند هانئ بن قبيصة، ثم قال له هانئ "عندي رأي لست أشير به لأدفعك عما تريد من مجاورتي، ولكنه الصواب، فقال: هاته، قال: إن كل آمر يجمل بالرجل أن يكون عله غلا أنن يكون عليه غلا أن يكون بعد الملك سوقة، والموت نازل بكل أحد ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك، امض إلى صاحبك و احمل عليه هدايا ومالا، والق نفسك بين يديه، فإما أن يصفح عنك فعدت ملكا عزيزا، وإما أن يصيبك، فالموت خير من أن تلعب بك صعاليك العرب، ويختطفك ذئابها.

فليس من المعقول أن يكون هانئ بن قبيصة قصد بالصعاليك مجرد الفقراء فإن الفقراء ليسوا مصدر خطر يخوف به أو منه الناس، وإنما المعقول أن يكون هانئ خوف النعمان من قطاع الطرق ومحترفي الغارات الذين يمكن أن ينالوه في مخبئه أو أثناء تنقله بين القبائل. كما انكشف نزوله لدى قبيلة انتقل إلى غيرها، فمدلول الصعلكة في هذه القصة غير الفقر[1].

و إذا تتبعنا أخبار الصعاليك المنبثقة والمتفرقة في مراجع الأدب والتاريخ العربي نجدها جميعا تحصرهم في صفتين، اللصوصية وقطع الطريق، بما يمكن أن تحتوي عليه هاتان الصفتان من أحداث السطو و الإغارة والفتك والسلب وبما لا يدع مجالا للشك في أن الصعلكة أخدت في المعنى الأدبي صورة غير صورة أصلها اللغوي هو الفقر[2].

[1]- شعر الصعاليك منهجه و خصائصه ص 27.

[2]- المرجع نفسه ص 29.

# المبحث الأول :نبذة عن حياة الشّنفرى :

## 1 – اسمه و نسبه و نشأته:

اختلف العلماء في اسم الشنفرى ولقبه ونسبه، فقال بعضهم إن"الشنفرى" لقب له، واسمه عمر بن براق، أو ثابت بن أوس أو ثابت بن جابر– على ثلاثة أقوال —و قال بعضهم إنّ الشنفرى هو اسمه الحقيقي لا لقبه، وذهب معظم العلماء إلى أنّ الشنفرى لقبه يعني الغليظ الشفتين وأن الشاعر لقب بذلك لعظم شفتيه و هو من الأواس بن الحجر بن الهنئ بن الازد بن الغوث، شاعر جاهلي قحطاني من أهل اليمن.

ولا نجد في مصادر ترجمته تاريخا محددا أو تقريبيا لتاريخ ولادته ولا لمكانها، ولا تعيينا دقيقا لوالده أو والدته التي يغلب الظن أنها كانت أمه سوداء، أما نشأته، فقد اختلف الرواة فيها على ثلاثة أقوال، إذ قال بعضهم إنه في قومه الأزد، ثم أغاظوه، فهجرهم، وقال آخرون إن بني سلامان أسروه مغيرا، فنشأ فيهم يطلب النجاة، حتى هرب، ثم انتقم منهم، وقالت فئة ثالثة إنه ولد في بني سلامان، فنشأ بينهم وهو لا يعلم أنه من غيرهم، حتى قال يوما لابنة مولاه:"اغسلي رأسي يا أخية" فغاظها أن يدعوها بأخته، فلطمته، فسأل عن سبب ذلك، فأخبر بالحقيقة فأضمر الشر لبني سلامان وحلف أن يقتل منهم مائة رجل وفَعَلَ.

وكان الشنفرى من أعدى عدائي العرب حتى ضرب المثل بعدوه.فقيل: "أعدى من الشنفرى" [1] حيث كان يضرب به المثل في سرعة الركض و مدى القفز، و رووا أن الخيل لا تلحق به، وقد قيست له قفزة من قفزاته بلغت واحدة و عشرين خطوة أي ما يزيد عن ثمانية أمتار، كان الشنفرى يغزوا على رجليه لأنه ليس لديه دابة يركبها، فمرات يغزوا واحدة

[1]– ديوان الشنفرى: الدكتور إميل بديع يعقوب– دار الكتاب العرب بيروت ط 2 1417 هـ–1996 م. ص 09–10.

وأخرى مع نفر من الصعاليك العدائين مثله أمثال تأبط شرا أو عامر بن الأخنس و أسد بن جابر و رجل يدعى المسيب بالإضافة إلى شاعر كان يضرب به المثل في الذكاء و الدهاء[1]

## 2 – مقتله و رثاء تأبط شرا له:

نقل الرواة عن مقتل الشنفرى روايتين، و فيهما أنّ بني سلامان هم الذين قتلوه بعد أن قتل منهم خَلَفاً كثيرا، وتقول الرواية الأولى إن بني سلامان قتلوه بمساعدة أسيد بن جابر أحد العدائين، وفي الثانية أنه غزى بني سلامان "فجعل يقتلهم، ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ثم غزاهم غزوة، فنذروا به، فخرج هاربا وخرجوا في أثره، فملا بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته، فأطعمته اقطعا ليزيد عطشا، ثم استسقى فأسقته رائبا، ثم غيبت عنه الماء فصرفته، ثم خرج من عندها، و جاءها القوم فأخبرتهم خبره، و وصفت صفته وصفة نبله" فعرفوه، فرصدوه على ركي لهم، و هو رَكِيٌّ ليس لهم ماء غيره، فلمّا جن عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنى منه قال: إنّي أراكم وليس يرى أحدا غنما يريد بذلك أن يخرج رصداً غن كان ثمّ، فأصاح القوم وسكتوا. و رأى سواداً و قد كانوا أجمعوا قبل، إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة، فقال: فرمى أبصر السواد، و أقبل إلى الركيَّ، فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخدوا سلاحه، فنزا ليخرج، فضرب بعضهم شماله فسقطت، فأخدها، فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القليب، فوطئ على رقبته فدقها ثم خرج إليهم، فقتلوه، و صلبوه، فلبث عاما أو عامين مصلوبا، وعليه من نذره رجل". فقال: فجال رجل منهم كان غائبا، فمر به و قد سقط، فركض رأسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فبغت(أي هاجت) عليه منها فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المئة.[2]

و لا نعرف متى قتل الشنفرى، وكل الذي نعرفه في هذه المسالة أنه كان معاصرا لتأبط شرا، وقتل قبله، و أن تأبط شرا رثاه، أما تأبط شرا فقد تقدم الإسلام بقليل فيكون الشنفرى من شعراء القرن السادس للميلاد.

[1] – أدب العرب في الجاهلية الدكتور حسين الحاج حسن 1984/3/173 م المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع.

[2] - ديوان الشنفرى: الدكتور إميل بديع يعقوب– دار الكتاب العرب بيروت ط 2 1417 هـ–1996 م.ص 12–13.

وكما حدّد الزركيلي سنة وفاته نحو السنة70 ق هـ نحو 525 م[1]

بل هي رجلي يا عَمْ فأسروا الشنفرى ونقلوه إلى أهلهم، فطلبوا منه أن ينشدهم، فقال إنّما النشيد على المسرة.

ثم ضربوا يده فتبعصرت أي اضطربت فقال الشنفرى في ذلك:

**لا تبعدي أما ذهبت شامه * فرب واد نفرت حمامه**

**و رب قرن فصلت عظامه**

ثم قال له السلامي أأطرفك ثم رماه في عينه- أي كما كان يفعل الشنفرى- فحين أرادوا قتله سألوه أين نقبرك فقال:

**لا تقربوني إنّ قبري محرّم * عليكم و لكن البشرى أم عامر**

**إذا احتلت رأسي في الرأس اكثري * و غودر عند الملتقى ثم سائري**

**هنالك لا أرجو حباة تسرني * سمير الليالي مبسلاًبالجرائر[2]**

و فيما يلي رثاه تأبط شرّا لمن الطويل:

**على الشنفرى سارى الغمام و رائحٌ * عزير الكُلى و صيّب الماء بَاكِرُ**

**عليك جزاءٌ مثل يومك بالجَبَا * و قد رَعَفَتْ منك السيوف البَوَاتِرَ**

**و يومك يوم العِيكَتَيْنِ و عطفة * عَطَفَتْ و قدْ مسَّ القلوب الحَنَاجِرُ**

**تجول ببزِّ الموت فيهم كأنّهم * بشوكتك الحُدَّى ، ضَئِينٌ نوافِرُ**

**و طعنة خَلْسٍ قد طَعَنَتْ مُؤشّة * لها نَفَذٌ تضِلُّ فيه المَسَابِرُ[3]**

**إذا كُشِفَت عنها السُّورُ شَحَالَهَا * فمٌ، كَفَمِ العزْلاء، فيحان فاغِرُ**

**يظَلُّ لها الأسى يميد كأنّه * نزيفٌ هراقَتْ لُبّهُ الخمرُ ساكِرُ**

[1]- ديوان الشنفرى: الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتاب العرب بيروت ط 2 1417 هـ-1996 م.ص 12-13.

[2]- الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني. المجلد السابع( مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر) ص 88-89.

[3]- ديوان الشنفرى: الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتاب العرب بيروت ط 2 1417 هـ-1996 م.ص 13-14.

**فيكفي الّذي يكفي الكريم بحزمه * و يصبر إنّ الحرَّ مثلك صابِرُ**

**فإن تكُ نفس (الشّنفرى) حُمَّ يومُهَا * و راح لَهُ ما كان منهُ يُحَاذِرُ**

**فَمَا كان بِدْعًا ان يُصَابُ فمثلُه * أُصيبَ و حُمَّ الملتجُون الفوادِرُ**[1]

**3 - أسباب تصعلكه:**

- الأسباب التي أدت بالشنفرى غلى التصعلك غامضة كل الغموض، وتروى عنه ثلاث روايات: إحداها عن محمد بن هشام النمري بسنده وتذكر أن الشنفرى أسرته بنو شبابة بن فهم فلم يزل فيهم حتى أشرت بنو سلامان بن مُفرج، من الأزد رجلا من بني شبابة، فقدته بنو شبابة بالشنفرى، فكان الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه غلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولدا، فقال له الشنفرى، اغسلي رأسي يا أخية فأنكرت أن يكون أخاها ,لطمته، فذهب مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له اصدقني ممن أنا؟ فقال: أنت من الأواس بن الحجر فقال: أما إنّس لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما إسعبدتموني.

- و أما الثانية: فعن رواية مجهول يكذب فيها هذه الرواية ويقول أن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يبوعوا بقتله، فباء بقتله رجل منهم يقال له حرّام بن جابر، فلما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم.

- و أما الثالثة: فعن رواية مجهول أيضا يكذب فيها هاتين الروايتين و يقول: بل كان من سبب أمر الشنفرى أن بني سلامان بن مفرج سيّب الشنفرى و هز غلام فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنة له، فلما خلا بها ذهب ليقبلها، فصكت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقتله فوجده ينشد أبياتا يأسف فيها على أن الفتاة لا تعرف نسبه، فلما سمع الرجل قوله سأله: ممن هو؟ فقال: أنا الشنفرى أخو بني الحارث بن ربيعة، فقال له: لولا أني[2] أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي، فقال: علي إن قتلوك أن أقتل منهم مائة رجل بك، فأنكحه ابنته، وخلى سبيله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنوسلامان خلافه على الرجل فقتلوه ثم أخد يوفي بوعده للرجل فيغزو بني سلامان ويقتلهم.

1 - ديوان الشنفرى ص13-14.

2 - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص 335.

و يروي ابن الأنباري عن نشأته الأولى ثلاث روايات: اثنين عن مُؤَرِّج إحداهما تلك التي يرويها صاحب الأغاني عن النمري، والأخرى يقول فيها: ويقول أن السبب في غزو الشنفرى الأزد وقتلهم أن رجلا منهم وثب على أبيه فقتله، والشنفرى صغير وكان أبوه في موضع من اهله ولكنه كلن في قلة، فلما رأت أم الشنفرى أن ليس يطلب بدمه أحد ارتحلت به وبأخ له أصغر منه حتى جاورت في فهم فلم تزل فيهم حتى كبر الشنفرى، فجعلت منه عرّامة، وجعل يُكره جانبه فوقع في نفس تأبط شرا، فكان يكرمه ويدينه، وكان يغير مع تأبط شرا حتى صار لا يقام لسبيله.

و الرواية الثالثة عن رواية مجهول، يقول فيها إن الأزد قتلت رجلا من فهم في حقرة رجل يقال له الحارث بن السائب الفهمي، فرهنهم (الشنفرى و أمه وأخاه) و أسلموهم و لم يفدوهم، فنشأ فيهم الشنفرى، فكان شديد البأس و النفس وكان أشد فهم على الأزد قتلا وسلبا.

و مهما يكن من أمر هذه الروايات المتناقضة المضطربة فإن المسألة في أبسط صورها ترجع إلى أن الشنفرى ليس من الأسباب فقد توافقه الإجتماعي مع قبيلته الأزد، ثم انتقل إلى قبيلة فهم، تلك القبيلة المتمردة المشهورة بلصوصها وهناك اتصل به تأبط شرا، و وجد فيه تلميذا ممتازا، فلقنّه دروس الصعلكة الأولى حتى صار لا يقام لسبيله، و رأى الشنفرى أن فرصة الإنتقام من قبيلته الأزد قد منحت له فصب عليها كل غزواته.[1]

و لعل أقرب هذه الروايات إلى الحقيقة، وأبعدها عن أوهام الرواة، الرواية الثانية التي يرويها ابن الأنباري عن مؤرج، واليت تتحدث عن قتل الأزد أباه و الشنفرى نفسه في بعض شعره يصرح بأن قومه قد أضاعوا أباه، وفي أخباره أنه: قدم مي وبها حرام بن جابر فقيل له: هذا قاتل أبيك، فشد عليه فقتله، و هو يصرح بهذا في تائيته المفضلة. و أيّا ما كانت الأسباب لهذا الحقد الذي ملأ نسف الشنفرى على بني سلامان فغنه قد وهب حياته للإنتقام منهم،" فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن معه من فهم، و كان يغير عليهم وحده أكثر ذلك".و بلغت الرغبة في الإنتقام في نفس الشنفرى حدًا جعله يحرص على التفنن فيه، فكان يصنع النبل و يجعل أفواقها من القرون ولاعظام، فإذا غزاهم عرفوا نبله بأفواقها في قتلاهم ، وكان إذا رمى رجلا منهم قال له تحديا: أأطرفك؟ ثم يرمي عينه.

## 4 – شعره (المميزات و الأغراض):

### أ/ مميزات شعره:

[1]– المرجع نفسه ص 336.

يدور الجزء الأكبر من شعر الشنفرى حول الصراع بينه وبين بني سلامان، والجزء الباقي من أحاديث تصعلكه و فقره و تشرده و غاراته على غير بني سلامان.

و يساير هذا في الشعر حياة الشنفرى منذ طفولته، فهم يروون له بيتين يخاطب بهما أمه بعد مقتل أبيه و موت أخيه، تظهر فيهما قوة نفسه و براعم تمرده الأولى[1]

**ليس لوالدة هرها * و لا قولها لابنها دعدع**

**تحاذر أن غالني غائل * و غيرك أملك بالمصرع[2]**

فإذا ما لطمته الفتاة السلامية سجل هذه الحادثة البعيدة الأثر في حياته، وجّل أسفه لأن هذه الفتاة المغرورة لا تعرف شيئا عن نسب أبيه ثم يتحدث إليها عن كروم نسبه.

ثم إذا ما بدأ الصراع المر بينه و بين بني سلامان حرص على أن يسجل كل شيئ في شعره: تهديده لهم، و تربصه بهم، و أحاديث غاراته عليهم، ويصف أسلحته التي يستخدمها ويتحدث عن رفاق غاراته، و عن أعدائه و ضحاياه، وحتى إذا ما أمسكك به أعداؤه و قطعوا يده رثاها بأرجوزة، هي مزيج من الحزن و الفخر حتى لا يشمت أعداؤه به، فإذا ما أخدوا يسخرون منه و يسألونه اين يدفنونه رد عليهم بمقطوعة رائعة تظهلر فيها قوة نفسه، فهو لا يحرص على أن يذفن، وإنما كل ما يوصي به ان يلقوا بجسده إلى الضبع، رفيقة تشرده.[3]

و إلى جانب هذا التسجيل لأحاديث الصراع بينه وبين بني سلامان سجل في شعره جوانب أخرى من حياته: فقره، و هزاله و نعليه الممزقين، وثيابه البالية و حمله قربة الماء، و تشرده في الصحراء بين الوديان المخيفة حيث الجن والآساد، وغاراته على غير بني سلامان.و يوشك ما وصل إلينا من شعر الشنفرى أن يدور كله داخل دائرة التصعلك و نقول يوشك لأن تائيته المفضلة تبدأ بمقدمة طويلة من النسيب التقليدي يرسم فيها صورة رائعة ممتازة لصاحبته الحبيبة الوفية الجميلة.[4]

[1]- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص 337.

2- الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني. المجلد السابع( مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.ج 19 من 21 ج).

3- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص 338.

[4]- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/ يوسف خليف- ط3- ص 338.

و أخص ما يميز اسلوب الشنفرى الفنّي تلك الخشونة اللفظية التي تمثل اللغة البدوية الجاهلية اصدق تمثيل، ثم تلك القوة التعبيرية التي تجعل أسلوبه اسلوبا محكما لا رخاوة فيه، هذا إلى جانب ما يمتاز به من صدق التصوير و الصراحة في النقل عن الحياة[1]

و للشنفرى ديوان شعر صغير طبع في لجنة التأليف و الترجمة و النشر بمجموعة الطرائف الأدبية، ومما اشتهر به لامية العرب، وهي مما تُحل عليه، فقد نصّ الرواة على أنها من صنع خلف الأحمر، و قد أحكم صناعتها و ساق فيها اسم موضع في جنوبي اليمن هو "إحاظة" ليدل على أن قائلها كان يتجول في هذه الأنحاء ، و حتى يكون ذلك ادعى إلى تصديقها والثقة بها، و هي تصور تصويرا حيّا حياة الصعلوك الجاهلي و روحه البدوية الوحشية و بجانب هذه القصيدة المنتحلة نجد له قصيدته التائية الطويلة التي رواها المفضل في مفضلياته، ثم مجموعة من المقطوعات، و يبدو في أشعاره على شاكلة تأبط شرا هزيلا نحيلا يلبس ثيابا بالية و نعالا ممزقة، و لو لم يصلنا إلا تائيته لكان ذلك كافيا في تصوير حياته و مغامراته[2]

و التائية نظّمها في الفخر بقتل حرام قاتل أبيه و أبرز الأغراض التي تنطوي عليها:

**ب/ أغراض شعره في التائية:**

- **الغزل:** وراء وجه الشنفرى العبوس نفس مشرقة، و وراء قسوته الظاهرة قلب لا يخلو من لين و رحمة، و إلى جانب حقده على الذين أسروه و حقروه حب لأميمة التي أسرته برقتها وعفتها، فهي شريفة حصان، طيبة الذكر، طاهر الإزار،لا يطوف بدارها طائف من عهر، ولا يبلغ فيها والغ بلوم أو ذم، إذا خرجت من مخدعها سارت محتشمة لا تتبرج و لا تتخلع، لا تغوي الرجال بحركة ماجنة، أو لفتة مغناج، و لا ترسل غليهم نظرة فاجرة، وإنما تمضي على رسلها، طرفها الغضيض يكاد يغوص في الأرض كأنها تبحث عن ضالة فقدتها، و لسانها الخجول ينعقد في فمها إذا حدثها رجل:

**أميمة لا يخزي نثاها حليلها * إذا ذُكر النسْوان عفت وجلت**

1- المرجع نفسه- ص 339.

2- العصر الجاهلي- شوقي ضيف- ص 370.

**يحل بمنجاة من اللوم بيتها * إذا ما بيوت بالملامة حلّتِ**

**فقد أعجبتني لا سقوط قناعها * إذا ما مشت، و لا بذات تلفتِ**

**كأن لها في الأرض نسيا تقُصه * إذا ما مشت، وإن تحدثك تَبْلَتِ**

و في هذا الغزل مثل لا يتغنى به إلا سيد شريف، وقيم لا يلتزمها إلاّ فارس يقدر الفضيلة و يرضيه من صاحبته أن تلتزمها.

- **الصعلكة**:و الصعلكة نابعة من حقد الشنفرى على من استعبدوه من بني سلامان، وإصراره على أن يقتل مائة منهم وهذا الإصرار ظل يلازمه و يؤرقه ويحمله على ركوب المخاطر، لينتقم من سواهٍ أفسدوا حياته، وسرقوا حريته، وانتزعوا منه صباه الريّان، وشبابه المفتون بنفسه:

**و إنّي زعيمٌ أن تثور عجاجتي * على ذي كساء من سلامان أو برد**

**هم أَعْدَموني ناشئا ذا مخيلةٍ * أمشي خلال الدار كالفرس الوَرْدِ**

و لم يكن الشنفرى غافلا عما ينتظره، فهو يعلم أنه مقتول لا محالة، ولذلك كان يسابق الزمن لعله يسبق أجله، ويقتل عزماءه، معرضا عن لوم من تلومه و يُخَيّل إليه و هو ماض إلى قصده أنّ قبره ينتظره، وأنّ المشيعين قد ساروا به إلى حفرته فيقول:

**دعيني و قولي بعد ما شئت إنني * سيغدى بنعشي مرة، فأغَيّبُ[1]**

و للصعاليك أدوات قتال كلف، فهم متعلقون بسيوفهم و رماحهم و قسيهم، يفاخرون بها ويتقنون صنعها، وكان الشنفرى يصنع النبال، و يجعل أفواقها من القرون و العظام،فكان إذا أغرا غرماءه من بني سلامان جعل يرميهم بها

1- الأدب الجاهلي- قضاياه، أغراضه- أعلامه ، فنونه ص 385.

فيعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، وربما كان اليحموم فرس الشنفرى أحب أحبته إليه فهو مثله نحيل رشيق، و شرف الجواد يقاس بعزمه لا بجسمه، وبجنونه في المعترك.

**و لا عيب في اليحموم غير هُزاله * على أنه يوم الهِياج سمينُ**

**و كم من عظيم الخلقِ عبل موثق * حواه، وفيه بَعدَ ذاك جنون**

و بهذا كان معظم شعر الشنفرى يدور داخل دائرة الصعلكة يروي فيها مغامراته و صراعه مع بني سلامان.[1]

## المبحث الثاني:أهم المظاهر الاجتماعية والانسانية في شعر الشّنفرى:

[1]- الأدب الجاهلي- قضاياه، أغراضه- أعلامه ، فنونه ص 385.

**I/المظاهر الانسانية**: لقد اتسم الشعر الجاهلي عامة بمظاهر إنسانية و أخلاقية متنوعة و شعر الصعاليك خاصة إذ نجده ضم قيم إنسانية و أخلاقية مختلفة منها الذميمة و منها الحسنة و يتجلى هذا في شعر الشنفرى الذي اتخدناه أنموذجا فمن بين أهم المظاهر الانسانية و الأخلاقية التي تحدث عنها في شعره نجد:

1 - **العفة**: تعد العفة من الصفات الخلقية التي تميز بها الصعاليك و هذا واضح في في شعرهم حيث أن نفوسهم كانت تتميز بطابع خلقي يمتاز بالنُبل و السمو و هذا ما نلمسه في شعر الشنفرى إذ نجده يتحدث عن العفة فيقول:

**و أستفُ ترب الأرض كي لا يرى له * غلا من الطول امرؤُ متطول**[1]

فالشنفرى هنا عبر عن نفوره من إذلال نفسه و يبين عفته بأنه لا يقبل بحسنات الناس و التصدق عليه مفضلا استفاف التراب على ذلك.

كما يقول في بيت آخر:

**و إنْ مُدَتِ الأَيدي إلى الزاد لم أكن * بأعجلهم إذا أجشح القوم أعجلُ**[2]

فالشنفرى هنا لا يكون أول يهديه إلى الطعام حتى يمد القوم أيديهم و هذا دليل على عفته.

- كما نجد الشنفرى يتحدث على عفة زوجته أميمة و يصف خصالها و مكارمها فيقول:

**لقد أعجبتني لا سقوها قِناعها * إذا ما مشت و لا بذات تلفت**

**يحلُّ بمناجاة من اللوم بيتها * إذا ما بيوت بِالملامة حُلَّتِ**

**كان لها في الأرض نِسيا تقصهُ * على أُمِّها و إن تكلمت تَبْلَتِ**

[1]- الأدب الجاهلي- قضاياه- أغراضه- أعلامه- فنونه – ص 489.

[2]- شعر الصعاليك- منهجه و خصائصه – ص 330.

**أميمة لا يخزى نثاها حليلها * إذا ذكر السنوات عفَت و جلّتِ**

**إذا هو أمسى آبَ قُرة عينه * مآبَ السَّعيد لم يسَلْ أين ظلَّتِ[1]**

– في هذه الأبيات يصف الشنفرى عفة زوجته أميمة و يتحدث عن أخلاقها بأنها تسدل قناعها عن وجهها في أثناء سيرها غير ملتفتة يمنة ولا يسرة، محصنة بيتها بالمكرمات مبتعدة عن كل مذمة و ملامة، و من فرط حيائها أنها إذا مشت في الطريق لا ترفع رأسها و لا نظرها عن الأرض حتى يظن من يراها كأن شيئا ضاع منها، و هي تبحث عنه إذا ما اعترضها شخص و حدثها أوجزت في الحديث و مضت لقصدها، و إن سيرتها العطرة ليعبق شذاها في العشيرة و هي سيرة يزهى بها الشنفرى، إذ يحمد زوجة مثال العفة و الوقار و أنه ليعود إليها من مغامراته في الصحراء قرير العين لا يسألها أين كانت و لا كيف أمضت يومها أو أيامها فهي موضع ثقته و هو يرفعها عن كل شبهة و كل ريبة و هذه الصورة للمرأة الحرة النبيلة عن الشنفرى.

2 – **التكافل:** لقد كان الصعاليك متكافلين متضامنين فيما بينهم حيث نجد الشنفرى يرسم لنا سورة من صور التكافل و الاشتراك بينهم حيث يعلوا زادهم و كل ما يكسبونه من قوت إلا واحد منهم هو تأبط شرا و كان يعولهم كما تعول الأم أولادها، و يتحكم في الإنفاق عليهم كما يشاء بما تقتضيه ظروف الرحلة، فلا ينكرون و لا يناقشون مع أنهم شركاء له فيقول:

**و أم عيال قد شهدت تقوتهم * إذا أطعمتهم أوتحت و أقلت**

**تخاف علينا العيل إذ هي أكثرت * و نخب جياع أي آل قالت**

**و ما إن بها ضن بما في وعائها * و لكنها من خيفة الجوع أبقت[2]**

**3 – الصبر:** حين نستعرض حياة الصعاليك من أخبارهم و من تصوير شعرهم نجد أن حياتهم كلها كانت تقوم على الصبر الشديد الذي لا يقوى عليه غيرهم و لا تطيقه نفوس غير نفوسهم، فحين ننظر إلى شعر الشنفرى نراه

[1]– ديوان الشنفرى ص 32.

2– المرجع نفسه ص 35.

يقاوم الجوع الشديد المظني فيظل يتحمل و يقاوم و يتجاهل، حتى يكاد ينعدم لديه الشعور بالجوع و يظهر ذلك من قوله:

**أُديم مِطال الجوع حتى أُميته * و أضرب عنه الذكر صفحا فأذهل [1]**

و لذلك فهو لا يرى نفسه صبورا و حسب و إنما هو مولى للصبر متحكم فيه و لتعوده الصبر أصبح ثابت المشاعر، لا يشتكي الجوع كما قال، و لا يجزع من الفقر و لا يفرح بالغنى، و لا تثيره حماقات الجاهلين فيقول:

**و إني لمولى الصبر اجتاب بزه * على مثل قلب السمع و الحزم أفعل**

**و أعدم أحيانا و أغنى و إنما * ينال الغنى ذو العبدة المتبذل [2]**

**4 – الإستهانة بالموت:** لو كان الصعاليك ينفرون من الموت كما ينفر الناس، لما تسنى لهم أن يكونوا صعاليك، و لكن الصعاليك لا يحرصون على الحياة و لا يرهبون الموت كما يرهبه سائر الناس، و لذلك تسنى لهم أنهم يعيشوا حياة مليئة بالمخاطر و المبادهة، وترقب الموت ليس من الأعداء و الناس فحسب، و إنما من كل وجه من وجوه حياتهم بوحوشها و حياتها و مجاهلها و غير ذلك، و نجد الشنفرى من الصعاليك الذين استهانوا بالموت حيث نجد يبلغ أقصى الإستهانة و الإستخفاف بالموت حين يوصيهم ألا يدفنوه، بل يتركوه للضباع توسعه عليها، لأن الضباع خير من اعدئه الذين يحرصون على أن يحملوا رأسه يشفون بها صدورهم و صدور أهليهم، ثم يتركوا جسده في المكان الذي قتلوه فيه فيقول في ذلك:

**لَا تَقْبِرُونِّي إنَّ قَبرِي مُحَرَّمٌ * عليكم و لكن أبشِري أم عامرِ**

**إذا احتملوا رأسي في الرأس أكتري * و غُودر عند الملتقى ثم سائري [3]**

[1] – شعر الصعاليك– منهجه و خصائصه – ص 170.

[2] – المرجع نفسه – ص 253.

[3] – شعر الصعاليك– منهجه و خصائصه – ص 260.

و يؤكد الشنفرى أن الموت ليس رهيبا و لا مخوفا لديه، لأنه مستعد لاستقباله دائما و مما يزيد في اطمئنانه إلى الموت أنه لا يكون هناك عمات و خالات بواكي عليه، لأنه في خلواته بعيدا عن الناس، فضلا عن أن قومه من أزد اليمن قد انقطعت بينه و بينهم الصلة فيقول في ذلك:

**إذا ما أتتْني منيتي لَم أُبالها * و لم تَذرِ عماتي الدموع و خالاتي**

**و لو لم أرم في أهل بيتي قاعدا * إذن جاءني بين العمودين حمتي**[1]

5 - **الكرم:** و لقد عرف الصعاليك بكرمهم و جودهم رغم تمردهم على القبيلة التي كانوا يعيشون فيها إلا أنهم كانوا ينهبون و يسلبون و يتصدقون بما نهبوه على الفقراء و المحتاجين من أبناء قبيلتهم و نجد الشنفرى يتحدث عن كرم زوجته أميمة فيقول:

**بقيت بعيد النوم تهدي غبوقها * لجاراتها إذا الهدية قَلَّتِ**[2]

فالشنفرى هنا يتحدث عن أميمة بأنها امرأة كريمة مؤثرة، تؤثر جارتها في الجدب بغبوق اللبن في العشاء.

6 - **كتمان السّرّ:** و يتغنى الشاعر "الشنفرى" بوحوش الصحراء التي تعيش معها و يضرب بها المثل في كتمان السر فيقول:

**هم الأهلُ لا مستودعُ السرِّ دائعُ * لديهمْ و لا الجاني بما جرَّ يُخْذَلُ**[3]

فالشاعر هنا يقارن بين مجتمع أهله و مجتمع الوحوش، فيفضل هذا على ذاك، وذلك أن مجتمع الوحوش لا يُفشي الأسرار، و لا يخذل بعضه بعضا بخلاف مجتمع أهله.

[1] - ديوان الشنفرى ص38.
[2] - المرجع نفسه ص 32.
[3] - المرجع نفسه ص59.

**II / المظاهر الاجتماعية**: تميز العصر الجاهلي عن غيره من العصور بمظاهر اجتماعية مختلفة، كما انفردت بيئة الصعاليك بمظاهر اجتماعية خاصة بها ميّزتها عن مظاهر القبيلة و من بين هذه المظاهر نجد:

**1 – الشجاعة و الجرأة**: لقد عرف الصعاليك بشجاعتهم و جرأتهم و هذا أملا لا ينازع فيه، و ذلك لأن طبيعة حياتهم التي تعتمد على العدوان و الصراع الدائم مع الناس، و تتمثل جرأتهم في المخاطرة و المجازفة غير مبالين بالموت لأن أيامهم كانت مليئة بالمغامرات و الصعاب و لهذا كانت الشجاعة و الجرأة من خصالهم و عدم المبالاة بالنتائج و لو كان من بينها الموت، و في هذا قال الشنفرى:

**وَ وَادٍ بَعيدِ العُمق ضنك جَماعةً * بواطِنِهِ للجِنِّ و الأُسْدِ مَأْلَفِ**

**تعسفتُ منهُ بعدما سَقَطَ النَّدَى * غَمَاليلُ يخشَى غَيْلُها المتَعَسِفُ [1]**

و الشنفرى هنا يتحدث عن واد بعيدة في أعماق الصحراء ملتف الشجر، قد ألفته الجنُّ و الأساد، حتى باء يخشاها المغامرون الشجعان: و كيف اقدم في جرأة و شجاعة على السير فيه في وقت مبكر قبل أن يتطاير الندى عن اشجاره. وهذا دليل على شجاعة الشنفرى و جرأته و إقباله على الواد دون خوف أو تردد.

– كما يفخر الشنفرى بنفسه و يعتز بها، فهو يقدم في شجاعة و جرأة حيث يقف الجبان هلعا جزوعا:

**إذا خشعت نفس الجبان و خيمت * فلا حيث يخشى أن يجاوز مخشف [2]**

[1] – شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي "يوسف خلسف" ص 232.

[2] – المرجع نفسه ص 232.

كما يقول أيضا:

**أنا السمع الأزل فلا أبالي * و لو صُعبت شناخيب العقاب[1]**

فالشنفرى هنا سمع أزل لا يبالي بشيء مهما يكن صعبا فهو قادر على تحمل الصعاب و تخطيها.

و يقول أيضا:

**و لا جُبأَ أَكْعَمى مُرَبّ بعرسهِ * يُطالعها في شأنه كيف يفعلُ[2]**

و الشنفرى هنا يتحدث عن لارجل الذي يلازم زوجته و هذا يدل على الكسل و الإنصراف عن الكسب و التماس الرزق و في هذا البيت ينفي الشاعر عن نفسه الجبن، و سوء الخلق و الكسل، كما ينفي أن يكون منعدم الرأي و الشخصية فيعتمد على رأي زوجه و مشورتها.

**2 – *الثأر :*** لقد كان الثار الدافع الأساسي الذي أدى بالشنفرى إلى التصعلك و ثأره كان لبني سلامان الذين قتلوا والده و أخاه.

و يقول الشنفرى في ذلك:

**جزينا بني سلامان بن مُفْرِجَ قرضها * بما قدّمت أيديهم و أزلّتْ**

**و هنيئا بي قوم و ما إن هنأْتُهُمْ * و أصبحتُ في قومٍ و ليسوا بمنبتي**

**شفينا بعبد الله بعض غليلنا * و عوف لذى لدى المعدَى أوان استهلّتِ[3]**

[1] – ديوان الشنفرى ص30.

[2] – المرجع نفسه ص 17.

[3] – المرجع نفسه ص37.

فالشنفرى هنا يصرح بأن جازى بني سلامان بما قدمت أيديهم و ما فعلوا بوالده و أخاه و يأسى أن يكونوا قومه لا ينتفعوا به و ببأسه، و أن يقعد لهم و يقعدوا له، لما بينه و بينهم من ثأر قديم ويحدثنا بأنه شفى بعض غليله بقتله لرجلين منهم هما عبد الله و عوف، فكانت حياة الشنفرى غارات و مغامرات حتى أصاب أعداءه و انتقم منهم و وفى بوعده حيث قتل مائة منهم.

3 – **الفقر**: لقد كان الفقر من أهم المظاهر الاجتماعية التي ميزت الصعاليك حيث وصفوا أوضاع معيشتهم و أحوالهم و كيف كانوا يعانون من الجوع و العطش حيث نجد الشنفرى تحدث كثيرا عن الجوع و عن معاناته منه فيقول:

**أديم مِطال الجوع حتى أميته * و أضرب عنه الذكر صفحا فأُذهلِ[1]**

4 – كما نجد الشنفرى يصف نعليه الباليتين، التي لم تخصف خروقهما فيقول:

**جهازي غير نعلين اسحِقَتْ * صُدورهُمَا مخصورةٌ لا تَخْصِفُ[2]**

كما يقول الشنفرى أيضا عن الجوع:

**و أطوي على الحُمَصِ الحوايا كما انطوت * خيوطه ماري تُغار و تُقْتَلُ**

**و أغدوا على القوتِ الزهيدِ كما غدا * أزلُ تهاداه النتائفُ أطحلُ[3]**

و في هذين البيتين صورة قوية للجوع حيث يقول بأنه يطوي أمعاءه على الجوع فتصبح لخلوها من الطعام يابسة، ينطوي بعضها على بعض كأنها حبال أتقن فتلها و بهذا كان الجوع من أهم مظاهر الفقر التي ميّزت الوضع الاجتماعي الذي عاش فيه الشنفرى.

[1] – الأدب الجاهلي– قضاياه– أغراضه– أعلامه– فنونه – ص 489.

[2] – المرجع نفسه ص 489.

[3] - شعر الصعاليك– منهجه و خصائصه – ص 170.

**5 – النهب و السلب:** لقد كان شعار الصعاليك "الغزو و النهب و السلب" حيث كان أكثر ما عُني به شعرهم هو أحاديثهم عن مغامراتهم، فكانت هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم و الأسلوب الذي انتهجوه في تحقيق غايتهم، حيث نجد الشنفرى يتحدث عن مغامراته هو و أصدقاؤه و وصفه كيف كانت الطريقة التي اتبعوه في ذلك فيقول:

**فشنّ عليهم هزة السيف ثابتُ * و صمّم فيهم بالحسام المسيّبِ**

**و ظلتُ بفتيان معي أتقيهـمُ * بهن قليلا ساعة ثم خيبـوا**

**و قد خر منهم راجلان و فارس * كهي صرعناه و خوم مُسلَّبُ**

**يشُنُ إليه كل ريعٍ و قلعة * ثمانية،و القوم رجلٌ و مقنبُ** [1]

و هنا انتهى الشنفرى من تصوير هذه الغارة الناجحة، فلم يعد أمامه هو و أصدقاؤه إلا أن يسرعوا عائدين إلى قواعدهم سالمين، ليحدثوا قومهم الصعاليك في فخر و اعتزاز بما قاموا به من بطولة:

**فلما رآنا قومنا قيل افلحوا * فقلنا اسألوا عن قائل لا يكذبُ** [2]

و يقول الشنفرى:

**طريدُ جناياتٍ سرْنَ لحمُه * عقيرته لأيُّها حُمَّ أولُ** [3]

1 - ديوان الشنفرى ص37.

2 - المرجع نفسه ص 29.

3 – شعر الصعاليك- منهجه و خصائصه – ص 177.

و الشنفرى يقصد هنا بالجنايات غاراته في الصعلكة، و بأنه مطارد ممن أغار عليهم و هؤلاء ينافسون للقبض عليه و الإنتقام منه.

و يقول أيضا:

**تنام إذا ما نام يقْظى عُيُونُها * خباتا إلى مكروهِه تتغلغلُ**[1]

حيث يقول أن أصحاب الجنايات في غاية اليقظة للإنتقام منه، و هم إن ناموا، فإّن عيونهم تظل يقظة تترصده للإيقاع به، و قيل أنه إذا قصر الطالبون عنه بالأوتار لم تقصر الجنايات.

**6 – سرعة العدو**: تعد سرعة العدو من المظاهر التي سادت الصعاليك حيث كانوا يفخرون به و نجد الشنفرى يعد من أشهر عدائيهم حيث قيل" أعدى من الشنفرى" و الشنفرى يقدم لنا صورة قوية لهذه السرعة نرى فيها الصعلوك يسبق القِط الظامئة و هي تسرعلى الماء فيقول:

**و تشربُ أساري القط الكثدْرِ بعدما * سَرَت قُربَ أحشاؤها تتصلصلُ**

**هممتُ و همتِ، و ابتدرنا و أسدلتْ * و شمّر منّي فارط متمهِّلُ**

**فَوَليتُ عنها و هي تكبو لعُقره * يباشره منها ذقونُ و حوصلُ**[2]

إنها مباراة يقدمها لنا الشاعر بينه و بين القط في الوصول إلى الماء، تنتهي بفوزه عليها، و إدراكه الماء قبلها، بل لقد شرب و ارتوى قبل أن تصل هي، فلما وصلت لم تجد إلاّ سؤرا تشربه من بعده.

[1] – المرجع نفسه ص 177.

2 – المرجع نفسه ص238.

# قائمة المصادر و المراجع: .

1-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

2 -الادب الجاهلي قضاياه و أعلامه .-غازي ظليمات الطبعة الاولى توزيع دمشق .

3-أدب العرب في الجاهلية –حسين الحاج حسن-.1984/03/173م-المؤسسة الجامعية للدراسات ة النشر و التوزيع .

4-الاغاني للأصفهاني .المجلد السابع مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر .

5-البيئة السردية للشعراء الصعاليك – ضياء غني لفتة-دار الحامد للنشر و التوزيع ط1-2010..

6-ديوان الاعشى ط 1 -1955 .مدار صادر بيروت .

7-ديوان الشنفرى الدكتور يميل بديع يعقوب –دار كتاب العرب بيروت ط 1417هـ -1996 م .

8-ديوان عنترة الدكتور فاروق الطباع .

9-السيرة النبوية لأبي شهية.

10-الشعر الجاهلي – حصاد قرن، عفيف عبد الرحمان-.

11-شعر الصعاليك منهجه و خصائصه لعبد الحليم حنفي مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

12-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي –يوسف خليف –ط 3

13-العصر الجاهلي – شوقي ضيف–دار المعارف كورنيش النيل 1119 القاهرة .

14-الفتوة عند العرب – عمر الدسوقي–ط 4 دار النهضة مصر للطبع و النشر و الفجالة .

15-الفروسية للإمام ابن القيم الجوزية دار الصحابة للتراث بطنطنة ط 1991/1.

16-قراءة في الشعر الجاهلي – حمدي محمود منصور –.

17-لسان العرب لابن منظور معجم لغوي علمي –قدم له الشيخ عبد الله العلايلي و تصنيف يوسف خياط.

18-المفيد الغالي في الأدب الجاهلي – د.زبير الدراقي– ديوان المطبوعات الجامعية 1997/07.

19-من المشرق إلى المغرب – شوقي ضيف–.

# الفهرس

**دعاء**

**شكر و عرفان**

**مقدمة** .....**أ– ب**

**الفصل الأول: الحياة الاجتماعية و الأخلاقية في العصر الجاهلي**

تمهيد ..... 05

I- مميزات المظهر الاجتماعي

1- إيمان القبيلة بوحدتها..... 03

2 – ظاهرة الصعلكة..... 06

3- قانون الجوار..... 11

4- الحرب و الثأر.....14

5- المرأة.....16

6- الدين.....18

7- الفروسية.....19

II- أخلاق المجتمع الجاهلي

1 – الكرم..... 20

2- الوفاء بالعهد.....23

3- المروءة و النجدة.....24

4- الرفق بالحيوان.....25

5- بعض الأخلاق الذميمة للمجتمع الجاهلي.....27

**الفصل الثاني: تجليات المظهر الاجتماعي و الانساني في شعر الشّنفرى**

- تمهيد ..... 31

- مفهوم الصعلكة ..... 32

**I– نبذة عن حياة الشّنفرى**

1- اسمه و نسبه و نشأته..... 36

2- مقتله و رثاء تأبط شرا له ..... 37
3- أسباب تصعلكه.....39
4- شعره (المميزات و الأغراض)
أ - المميزات.....41
ب - أغراض شعره في التائية.....42
5- أهم المظاهر الاجتماعية و الانسانية في شعر الشّنفرى
I- مظاهر انسانية.....45
**II- مظاهر اجتماعية**.....49
**خاتمة**.....54
**قائمة المصادر و المراجع**.....57
**فهرس الموضوعات.**